# تعانقت الأديان
# فدقت القلوب

**الطبعة الأولى**

**١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م**

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٦/٢٦٧٣)



ISBN 978-9957-77-414-1 (ردمك)



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

رواية

# تعانقت الأديان فدقت القلوب

فوزية الشهاب
(أم قدامة)





# الإهداء

أهدي مؤلفي هذا المؤلف إلى جلالة الملكة رانيا العبدالله ابنة الوطن البارة والمناضلة في المحافل الدولية لنيل حقوق الإنسان، وأهدي مؤلفي إلى أهل العزم وأهل الهمة وإلى كل الأيدي الخيرة البناءة في هذا الوطن الغالي، وإلى زوجي وأهلي فرداً فردا، وإلى ابنتي مهجة روحي، وإلى كل قارئ لهذا المؤلف.

المؤلف

□

**هناك** على جبل شاهق من جبال عجلون يطل على قلعة الربض التي أمر ببنائها القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي الذي حرر الوطن العربي من حكم الصليبيين، نشأت (فردوس) التي أخذت من الدحنون حمرة وجنتيها والذي يشتهر به هذا الجبل وأخذت لون بشرتها من لون الثلج الذي يغطي قمته في شهر آذار، ومن صلابة قلعته أخذت قوة عزيمتها.

تشبثت فردوس بأرض الجبل كتشبث جذور أشجار الزيتون المعطاءة بالأرض وتميزت فردوس بكرمها وعطائها كتميز زيت جبل عجلون بمذاقه الخاص.

نشأت فردوس في أحد بيوت الفلاحين الذي يمتلك كرم عنب وبعض شجيرات الزيتون فغادرت مقاعد الدراسة في سن مبكرة كي تساعد والدتها في جمع ثمار العنب في موسم القطاف، فتخرج مع زقزقة العصافير التي تغار من عذوبة صوتها عندما تدندن ببعض الأغاني الشعبية للعنب وأشجاره وعندما تصل كرم العنب تمسك بيديها الصغيرتين قطوف العنب المتدلية كثريات الذهب ناضجة حلوة المذاق، فتضع القطوف في سلة كبيرة وتأكل بعض الخصلات الحلوة اللذيذة وعندما تمتلئ السلة تحملها والدتها إلى السيارة حتى تمتلئ السيارة، فتأخذها أم العبد إلى الحسبة في عجلون أو اربد وتبيعها، أما فردوس فتعود مع إخوتها الصغار إلى البيت لتعد لهم طعام الغداء، والذي لا يكاد لا يتغير وهو شوربة العدس أو مجدرة برغل، لقد تعود الصغار على هذا فلم يعودوا يتذمرون من ذلك.

أما في فصل الشتاء فكانت (فردوس) ترافق والدتها منذ الفجر إلى الأرض كي تنكشها وتحرثها وتعدها لزراعة بذور القمح والشعير والحمص، تسيران وهما ترتجفان من شدة البرد، فملابسها التي تكاد أن تكون رثة لا تعطيهما الدفء فتجمعان بعض الأعشاب وأغصان الزيتون والعنب الجافة فتشعلان النار ويصطليان عليها فتشعران ببعض الدفء وعندما تعودان إلى البيت تحملان بعض أغصان الزيتون والعنب كي تشعلانها هناك لتطهوان عليها الطعام ويجلسن حولها الصغار فيشعرون بالدفء.

مرت أعوام وهن تعملان بجد وكد كي تعيلان الأسرة التي تركها أبو العبد بعد أن غادر هذا العالم إلى العالم الآخر، فقد

كانت (فردوس) هي البكر وعليها تحمل المسؤولية مع أمها ومشاركتها الحمل الذي تنوء منه زنود الرجال، لكن فردوس عاهدت أمها على مساعدتها في حمل هذا العبء، فقد كانتا أكثر من صديقتين أو أختين، كانت أم العبد تشكو قسوة الحياة وحظها القليل وتحدثها عن أسرارها عندما كانت في مثل سنها وكيف أحبت والدها أبو العبد وكيف كانت له عوناً على نوائب الدهر، وتمر صورة أبو العبد أمام عينيها وتتذكر عندما كان يداعبها قائلاً "لو أموت يا أم العبد هل ستحتفظين بالأرض؟، وهل تستطيعين خدمتها كي تعطيك الحياة؟". فتقول أم العبد له: "برّا وبعيد، كف الله الشر عنك". فتدمع عيناها، فتنسكب الدموع على وجنتيها كأنها جمرات، فتمسح (فردوس) دموع أمها براحتها وتقبلها وتقول لها لا تبكي يا أمي سأكون مكان أبي وأساعدك ولن أتركك لوحدك.

ظلّت (فردوس) وأمها تعملان في الأرض بجد كي توفران من منتوجها رغيف الخبز وبعض الطعام للأسرة وما يكاد يستر أجسادهن النحيلة من حر الصيف وبرد الشتاء، فردوس فتاة صبورة كبرت قبل أوانها، فقد كانت صلبة العود تغلف نفسها بالقوة والقسوة مع أن في داخلها حنان أم ثكلى وكثير من العواطف والمشاعر الدافئة، فقد كانت عندما يأتي المساء تكون المعلمة لأخوتها الصغار تساعد هذا في حل واجباته، وتلاعب هذا وبعد أن ينتهي الأولاد من عمل واجباتهم المدرسية يندسون تحت أغطيتهم الرثة ثم ينادون أختهم فردوس كي تنام إلى جانبهم وتحكي لهم حكايات، فكانت تسرد لهم القصص والحكايات ولكنها تكرر لهم قصة "العنزة وأولادها الثلاثة" عندما كانوا يطلبون من أمهم أن يذهبوا إلى المرعى ليلعبوا مع أقرانهم فتقول لهم سيروا مع الجماعة وإياكم والتخلف، فالذي يتخلف عن الجماعة يأكله الذئب.

وكانوا يذهبون ويرتعون ويعودون مع أقرانهم، ولكن ذات يوم سار الثلاثة مع أقرانهم عائدين إلى بيوتهم إلا أن واحد منهم رأى بعض الأعشاب الطرية الغضة، فقال: أريد أن أذهب لآكل من تلك الأعشاب، فقال له أخواه: إن أقراننا عائدون .. فلنعد معهم، فقد أوصتنا أمّنا أن لا نتخلف عن الجماعة، ولكنه أصرّ على الذهاب وترك أخواه والجماعة، وقال: سأعود بعد قليل سيروا أمامي وسألحق بكم، وما ساروا إلا بضع أمتار حتى

أصبح وحيداً فرآه الذئب الذي يرقب القطيع فوثب عليه ومزقه إرباً. وبعد أن تنتهي الحكاية تقول لهم وأنتم يا إخوتي الصغار اذهبوا للمدرسة وعودوا معاً حتى تحموا بعضكم البعض لو تحرش بكم أحد، ففي الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف.

وبعد أن ينـاموا تجلس (فـردوس) وتفكـر فـي مستقبلهم وتتخيلهم وهم يكبرون ويصبحون أناس مميزين ناجحين، ربما (طارق) يكون محامياً ناجحاً فهو يجيد الكلام والدفاع عن نفسه وعن إخوته إذا ما أخطئوا، وربما (زهير) سيصبح طبيباً جراحاً ناجحاً فهو ذكي وهادئ الطبع ثابت الأعصاب، وربما (مي) ستكون معلمة فهي لديها القدرة على إيصال الخبر إلى من يحدثها بسرعة فائقة .. ربما .. ربما. ولكن كيف سأعلمهم أنا وأمي، وهذه الأرض وكرمها الصغير لا يكفي لإطعامهم.

كانت أمها تنام لشدة تعبها بعد تناولها طعام العشاء، لكن (فـردوس) كانـت تصـاب بـالقلق والأرق، وهـي ممـدة تحـت غطاءها الرث تفكر .. وتفكر. كيف ستحسن دخلها؟ وكيف ستساعد إخوتها لينالوا أعلى الشهادات؟. صممت (فردوس) بكل قوتها وإرادتها أن تبحث عن مصدر آخر للرزق كي يساعدها في زيادة الدخل، قالت في نفسها: سأذهب إلى خالتي (حنان) التي بيتها يبعد عن بيت فردوس ثلاثة كيلو متر، فقد سمعت من أمي أنها تجيد صناعة القش، سأستأذن من أمي كي أذهب إلى خالتي كي تعلمني هذه المهنة، فربما تساعدني هذه المهنة في زيادة دخلنا.

فرحـت (فـردوس) لهـذه الفكـرة وصـممت علـى تنفيـذها، وانتظـرت بـزوغ الفجـر بفـارغ الصـبر حتـى تسـتيقظ والـدتها وتعرض عليها الفكرة، وأخذت (فردوس) تتململ في فراشها إلى أن بزغ الفجر، فقامت وتوضأت وأيقظت والدتها حتى تصليان الفجر وأشعلت النار وأعدّت إبريقاً من الشاي وسكبت قليلاً من زيت الزيتون الصافي في صحن من الألمونيوم، ووضعت في صحن آخر قليلاً من الزعتر الذي جمعته من جبال عجلون، وأعدتـه هـي ووالـدتها فـي البيـت، ثـم أيقظـت إخوتهـا ليتنـاولوا إفطارهم ويذهبوا إلى المدرسة.

وبعد تناول طعام الإفطار هي وإخوتها وأمها تذهب (فردوس) هي وأمها إلى الأرض، وأثناء سيرهما إلى بستان الزيتون:

- فردوس: أمي .. لقد خطرت لي فكرة تجعل من دخلنا يزيد.
- الأم: وما هي؟
- فـردوس: أريـد أن أذهـب إلــى خــالتي حنــان يـوم الجمعـة والخميس.
- الأم: ولماذا؟
- فردوس: كي تعلمني صناعة الأطباق من القش.
- الأم: لا يوجد رأس مال لدينا.
- فردوس: ألا ترين أن القش متوفر ولا يحتاج إلى رأس مال.
- الأم: ألا يكفيك وجع القلب الذي نحن فيه .. يكفيك العمل في الأرض.
- فردوس: إخوتي يحتاجون إلى مصاريف لتعليمهم.
- الأم: سأخرج أخيك (طارق) من المدرسة كي يعمل أجير عند أبو سالم أو أبو جلال.
- فردوس: لا يا أمي.
- الأم: لقد كبر .. وهذا العام سينهي المرحلة الإعدادية.
- فردوس: بألم شديد ونبرة فيها شيء من القسوة، أمـي .. أمـي، أرجوك لا تتدخلي في تعليم إخوتي.
- الأم: مصاريف التعليم عالية جداً.
- فـردوس: لا تتـدخلي فـي تعليم إخـوتي، ولـن يخـرج أحد من المدرسة وسيكملون تعليمهم مهما كلّف الأمر.
- الأم: لا يا ابنتي.
- فردوس: ألا يكفي أنني تركت المدرسة وأنا أحبها .. سـأكون سعيدة لو أتم إخوتي دراستهم، سأكون أسعد عنـدما يكبـرون، ويقول الناس هذه فردوس أخت المحامي والطبيب والمعلمة.
- الأم: لا تغضــبي يــا ابنتــي الحبيبــة لأننــي أخرجتــك مــن المدرسة.
- فردوس: ولماذا أخرجتني من المدرسة؟
- الأم: لقد توفي أبوك وظروفي كانت قاسية، لم أجد لـي معينـاً غيرك.
- فردوس: لا يا أمي لم أغضب منك، ولكن أرجوك ساعديني حتى يتعلم إخوتي.

- الأم: افعلي ما تشائين وأعاهدك بأن لا أخرج أحداً منهم مهما كانت الظروف قاسية.
- فردوس: تحضن والدتها وتقبلها .. غداً سأذهب غداً الخميس إلى بيت خالتي وسأنام عندها.
- الأم: لا تتأخري يا ابنتي.
- فردوس: سأبقى عندهم حتى مساء الجمعة وسأعود إن شاء الله وقد تعلمت.
- الأم: من سيساعدني في أعمال البيت؟
- فردوس: إخوتي سيساعدونك في أعمال البيت والمزرعة لأن الجمعة عطلة رسمية.
- الأم: وفقك الله يا ابنتي وجعل لك في كل خطوة سلامة.

في صباح يوم الخميس ذهبت (فردوس) إلى بيت خالتها وهي تركب على حمارهم الأسود وحملت في جيبها سكين المطبخ لأن الطريق موحش ومليء بالأشجار وربما تضطر للدفاع عن نفسها، سار بها الحمار وهي تكاد تكون تسمع دقات قلبها من شدة الخوف إلا أنها كانت تقوي نفسها وتدندن ببعض الأغاني لتسلي نفسها وتتلفت حولها.

وبينما هي سائرة سمعت صوت حركة بين الأشجار فأصابها ذعر شديد وأخرجت سكينها من جيبها وأوقفت حمارها وهي تتلفت عن يمينها ويسارها وتكاد تسمع دقات قلبها من شدة خوفها، ولكن فوجئت بأن الذي أخافها هو أرنب جفل منها أيضاً وهرب، وما أن سارت بعيداً حتى صادفها رجل ضخم الجثة فحسبت في نفسها ألف حساب، نظر إليها الرجل وتلفت حوله وقال: من أين أنت؟ هذه الفتاة أنها أجمل من الأزهار البرية وألذّ من الفاكهة الطرية، وثارت في نفسه غرائز شيطانية وقال في نفسه: هذا المكان خالٍ، سوف أغتصبها فأقترب منها وهو يبتسم ويقول: تعالي يا حلوتي، تعالي يا صغيرتي. هل أنت إنسية أم جنية؟ مهما كنت لن أتركك، فضربت حمارها وهي تحاول أن تبتعد عن الرجل، ولكن الرجل ركض خلفها وأمسك بالحمار، وحاول أن يغتصبها .. فضربته بالسكين بيده الممسكة بها، فأفلتت منه وهي تدعو الله أن ينجيها منه، وبينما هي تصرخ وتدافع عن نفسها بكل قواها إذ بالحمار يرفس الرجل رفسه

طرحته أرضاً، فركبت حمارها وولت هاربة إلى أن وصلت بيت خالتها، فركضت إليها خالتها:
- الخالة حنان: ما بك منكوشة الشعر ممزقة الثياب.
- فردوس: لا تخافي يا خالتي لقد أسقطني الحمار، وعندما أمسكت باللجام سحبني خلفه.
- الخالة حنان: وثيابك الممزقة!.
- فردوس: لقد سحبني على الأرض والأشواك والأعشاب الجافة فتمزقت ثيابي.
- الخالة حنان: أصحيح ما تقولين؟
- فردوس: هذا كل ما في الأمر.
- الخالة حنان: أتمنى أن أصدقك .. ولكن الحق ليس عليك وإنما على أمك، كيف تترك فتاة في مثل جمالك وعمرك تسير في هذا الطريق المخيف الموحش وحيدة .. آمل أن أصدقك.
- فردوس: انسي يا خالتي ودعيني أن أخبرك لماذا أتيت إليك؟
- الخالة حنان: ولماذا أتيت إلى هنا؟
- فردوس: لقد أتيت إلى هنا كي تعلميني صناعة القش كي أبيعه عند القلعة أيام الجمعة.
- الخالة حنان: ولماذا؟
- فردوس: كي أزيد من دخل أسرتنا حتى أتمكن من تعليم إخوتي .. أرجوك علميني.
- الخالة حنان: سأعلمك بعد أن ترتاحي وتتناولين الطعام وتستبدلين هذه الملابس الممزقة.

وبعد أن استراحت (فردوس) بدأت خالتها حنان بتعليمها (إنقعي القش أولاً بالماء حتى يصبح طرياً ثم أربطي عدة قشات مع بعضهن البعض حتى تكوني عقدة دائرية، ثم أثقبي العقدة بالمخرز وضعي فيها قشة طويلة، ثم لفي القشة على مجموعة من القش بحجم أصبع اليد، وهكذا .. استمري. فينتج عندك طبق دائري، فأبدت (فردوس) تجاوباً سريعاً وبدأت تتعلم بسرعة أدهشت خالتها وفي فترة وجيزة صنعت (فردوس) طبقاً صغيراً).

أعجبت (فردوس) كثيراً بالطبق الصغير الذي صنعته وضمته إلى صدرها معتزة بعملها وقالت لخالتها حنان أريد

العودة إلى بيتنا فقد وعدت أمي أن أعود مساء الجمعة، وبينما هما تتحدثان، إذ وقفت سيارة أمام البيت نزل منها شاب طويل القامة، حنطي اللون، كث الشاربين، ممتلئ صحة وشباب ويرتدي بزة عسكرية، دخل البيت وهو يبتسم ويقول: أمي أين أنت؟ يا ست الحبايب، إنني مشتاق إلى تقبيل يديك يا أمي الحبيبة، ودخل ففوجئ بفتاة يافعة مثل غصن ريحان تضوع أريجه في المكان، نظر إليها والدهشة بادية على محياه، قال في نفسه: إن خديها كرمانة من جبل عجلون حمراء ناعمة وشعرها ... أوه شعرها كسنابل قمح حان وقت حصادها، تراجع للخلف.

- قال: لم أعرف أن عندك زوّار يا أمي .. أنا آسف.
- الخالة حنان: تعال يا موسى وسلم على ابنة خالتك، إنها فردوس ألا تذكرها.
- موسى: حقاً هذه فردوس.
- الخالة حنان: نعم يا موسى.
- موسى: الطفلة التي كنت أحملها وألاعبها قبل أن أذهب للجيش.
- الخالة حنان: نعم ... لقد كبرت، فأنت لم تزرهم منذ أن دخلت الجيش، لقد تركت المدرسة.
- موسى: ولماذا تركت المدرسة؟
- الخالة حنان: لتساعد أمها للعمل في الأرض.
- موسى: وأخوها الكبير طارق.
- الخالة حنان: في المدرسة .. سيكمل المرحلة الإعدادية العام القادم ويدخل المرحلة الثانوية.
- موسى: لما أنتما واقفتان اجلسا .. لم لا تجلسا؟ اجلسي يا فردوس.
- فردوس: أريد أن أعود إلى البيت فأمي بانتظاري، ولا أريد أن أدعها تقلق عليّ .. يجب أن أعود اليوم.
- موسى: هيا يا أمي لنوصلها فالطريق غير آمن، وهي شابة جميلة.
- فردوس: تبتسم ابتسامة خجولة واحمر وجهها خجلاً.

ركبت (فردوس) حمارها وركبت خالتها حنان حصاناً وسار موسى معهما وهو يقود الحصان الذي تركبه أمه ويتجاذبان أطراف الحديث، ويترك عينيه تتلصص على جمال فردوس

وتسرق بعض النظرات، وقع موسى بحب (فردوس) وانتهت الرحلة القصيرة وموسى يتمنى لو أن الطريق يطول ليبقى مدة أطول مع (فردوس). وعندما وصلوا إلى بيت (فردوس) سلّم على خالته، وبعد أن شربا الشاي ودع خالته حنان وفردوس هو وأمه وقفل عائداً إلى البيت هو ووالدته يحمل في قلبه ساكن جديد لا يفارقه ولا يبرحه في صحوة وقيامه.

إنها (فردوس) تربعت على عرش قلبه، صورتها لا تفارق خياله، كلماتها ترن في أذنه موسيقى عذبه، ومنذ عاد موسى وهو ساهم واجم وشارد الذهن، لقد قلت شهيته للطعام وأصبح نومه قلق وأرق، وبقي على هذه الحال مدة الإجازة التي قضاها مع والديه.

لاحظت أمه شروده وقلة أكله فسألته:

- الأم: ما بك يا موسى، أيؤلمك شيء .. أأنت مريض؟
- موسى: ولم يا أمي؟
- الأم: ليس من عادتك هذا الشرود وليس هذا هو أكلك.
- موسى: لا يا أمي لست مريضاً.
- الأم: أنني أضع الطعام أمامك فيرجع كما هو ...
- موسى: لا تهتمي للأمر، أشعر بقليل من التعب وصداع في رأسي، ربما كان تدريبنا في هذه الدورة صعباً قليلاً، بعد أن أرتاح سيرجع كل شيء لحاله.

انتهت الإجازة وعاد موسى إلى كتيبته ولاحظ زملاؤه تغير حاله وشروده، فأخذوا يتهامسون عليه فبعضهم يقول لقد وقع أخوكم موسى في الحب وآخر يقول مبتسماً "لا إله إلا الله" وآخر يلوح بيده قائلاً وحدوه. أحس موسى بأن صورة (فردوس) تلاحقه وتقض مضجعه فلا يهنأ بمنامه أو طعامه فقال في نفسه: أهو الحب .. هل وقعت في حب ابنة خالتي (فردوس) .. معقول من أول نظرة، ها أنا عاشق؟ .. أحقاً أنا أحبها .. بلى إنها تستحق أن تحب، إنها كالفاكهة الناضجة. هل أخبر أمي؟ هل أطلب من أمي أن تخطبها لي؟ ها ستوافق خالتي على تزويجها؟ ثم قال في نفسه سأطلب من أمي أن تخطبها لي في الإجازة القادم عندما أعود إلى البيت. انتظر موسى مرور الوقت بفارغ الصبر، لقد أحس انتظار دوره في الإجازة كأنه عام أو أكثر.

بينما (فردوس) عادت إلى البيت وهي تجلس ليلاً تصنع الأطباق وعلمت أمها أيضاً فكانت تعملان نهاراً في الأرض وليلاً في صناعة الأطباق، فلم يمضي أسبوع حتى كان عدد من الأطباق الملونة الجميلة.

وفي يوم الجمعة استيقظت في الصباح الباكر وحملت أطباقها ووقفت على الشارع الرئيسي في القرية وأشارت لسيارة بكب محملة بالرجال والنساء والأطفال وصعدت معهم، وعندما وصلت قرب القلعة أعطت السائق شلناً ونزلت هي وأطباقها، وهناك جلست تنتظر السائحين الذين أعجبوا بأطباقها الجميلة، فلم يأت وقت الظهر حتى باعت كل ما لديها من أطباق، وعادت إلى البيت وهي تحمل كيساً فيه دجاجة وبعض الخضار ودخلت البيت والسعادة والسرور باديان على محياها الجميل وهي تصرخ فرحة أمي .. أمي لقد بعت كل الأطباق سنعمل عدداً أكبر في الأسبوع القادم.

لكنها فوجئت بموسى ابن خالتها وخالتها حنان يجلسان داخل البيت:

- فردوس: تقف وتنظر في وجوههم بدهشة، خالتي أهلاً وسهلاً.
- الخالة حنان: أهلاً وسهلاً لخالتك فقط، وابني أليس له أهلاً وسهلاً!
- فردوس: بخجل أهلاً وسهلاً يا موسى.

خافت (فردوس) من أن تحدث خالتها حنان لأمها عن منظرها عندما وصلت بيتهم في الأسبوع الماضي وقالت يجب أن لا تعرف أمي بما حصل لي لئلا تمنعني من الخروج من البيت ومساعدتها خوفاً عليّ ... إن أمي بحاجة ماسة لمساعدتي لها، وكيف وإن انتشر الخبر وعرف الناس أن رجلاً حاول اغتصابي، ماذا سيقولون؟ سيقولون مئة قصة، وتنتشر الإشاعات وبدل أن تكون محاولة ستجعلها الإشاعات حقيقية، فلا يتقدم أحد لخطبتي، أو ربما أتعرض للقتل من أفراد قبيلتي. يجب أن لا يعرف أحد حتى أمي .. حتى إخوتي، لا الآن ولا في المستقبل.

كتمت (فردوس) سرها وبدأت تحضّر طعام الغداء وقلبها يدق خوفاً من أن تخبر خالتها حنان أمها، وبعد أن وضعت (فردوس) طعام الغداء أمام الضيوف:

- الخالة حنان: والله يا أختي يا أم العبد عاتبة عليك لأنك أرسلت حنان الأسبوع الماضي لوحدها إلى بيتنا فالمنطقة موحشة ومليئة بالأشجار لو رأيت منظرها.
- أم العبد: كيف كان منظرها.
- الخالة حنان: لو رأيتها عندما وصلت، لتقطعت نياط قلبك حزناً عليها.
- أم العبد: ماذا حصل لها، إنها لم تحدثني عن شيء.
- الخالة حنان: نظرت إلى فردوس نظرة تساؤل وقالت لقد كان شعرها منكوش وثيابها ممزقة.
- فردوس: تستدرك الموقف وتبتسم .. خالتي لا تهولي الأمور وتفزعي أمي.
- الخالة حنان: كيف كان حالك!.
- فردوس: إن الأمر بسيط ولا يتعدى سقوطي عن الحمار، وعندما أمسكت برسن الحمار ركض وسحبني خلفه على الشوك والحجارة فحصل لي ما رأيته يا خالتي.

تنظر أم العبد إلى ابنتها نظرة تساؤل، ثم تصمت وقالت في نفسها: ربما ابنتي تخبئ عني شيئاً وعن خالتها ربما ستحدثني عن هذا الأمر بعد ذهاب خالتها وابنها ثم نظرت أم العبد إلى أختها حنان وقالت ليست أول مرة يفعلها هذا الحمار اللعين، ولكن أم العبد دار في عقلها ألف سؤال وسؤال، أتصدق ما قالته ابنتها! ماذا يا ترى حصل لابنتي هل اغتصبت؟ هل .. هل. ومر الوقت على أم العبد كئيباً رتيباً وهي تنتظر بفارغ الصبر انصراف أختها حنان وابنها من عندهم.

- الخالة حنان: والله يا أم العبد ابني موسى ما شاء الله عليه كبر وأصبح جندياً قوياً ويريد أن يفتح بيت.
- أم العبد: مبروك يا أختي.
- الخالة حنان: تنظر إلى موسى وهي تبتسم .. إن موسى أعجبته ابنتك (فردوس) منذ أن رآها في بيتنا في الأسبوع الماضي ونحن جئنا نخطبها منك يا أم العبد، فموسى كما

تعلمين بنيت له غرفة بجانب بيتي وراتبه ثمانون دينار ومهر (فردوس) جاهز، إذا وافقت سنكتب الكتاب ونزوجهما هذا الشهر.

- فردوس: بدهشة إن أمي كما تعلمين يا خالتي وحيدة ولا يوجد من يساعدها سواي.
- الخالة حنان: أترفضين موسى.
- فردوس: لا .. أنا لا أتكبر على موسى، إنه شاب وسيم تتمناه كل الفتيات في القرية.
- الخالة حنان: ولكن لماذا ترفضين؟
- فردوس: لآن موسى يريد الزواج الآن، وأنا لن أتزوج حتى يتم إخوتي دراستهم.
- الخالة حنان: تنتظري حتى يتم إخوتك دراستهم؟
- فردوس: نعم يا خالتي.
- الخالة حنان: ستصبحين عانس ولا تجدي من يتزوجك عندما يتخرجون سيتزوجون وينسوك وينشغلوا بأولادهم ونسائهم، تزوجي يا ابنتي ودعي إخوتك يساعدونها.
- أم العبد: دعيها لي سأرد لكم الخبر يوم الجمعة القادم وإن شاء الله خيراً.

ودّعت الخالة حنان وابنها موسى أختها أم العبد وفردوس عائدين إلى بيتهم وهو يتمنى أن يكون رد فردوس دلال وليس أكثر، وبعد خروج الخالة حنان وابنها موسى نظرت أم العبد إلى ابنتها فردوس نظرة متفحصة فيها ألف سؤال فحاولت فردوس أن تزوغ من أمام أمها بحجة تنظيف الصحون ولكن أم العبد نفذ صبرها، فنادت على فردوس خارج البيت بعيداً عن إخوانها:

- أم العبد: أرجوك يا ابنتي اصدقيني القول وأريحي قلبي، ماذا جرى في الرحلة تلك؟
- فردوس: أمي أتريدين جنازة تشبعين فيها لطم. لم يحصل لي إلا ما قلته لك، إلى ماذا تريدين أن تصلي؟
- أم العبد: أظن أنك قد تعرضت لعملية اغتصاب ولهذا أنت ترفضين زواجك من موسى.
- فردوس: أمي .. أمي، أرجوك لا تلقي بالتهم عليّ، فما عدت أطيق هذه الاتهامات ونفذ صبري.

- أم العبد: أريحيني يا ابنتي.
- فـردوس: لا شـيء يـا أمـي ممـا تظنـين قد حصـل، وإذا كـان زواجي من موسى يرضيك فأنا أقبل الزواج منـه شـريطة أن يسكن هنا وأبقى قريبة من إخوتي.
- أم العبد: بدهشـة كبيـرة أيـن سيسـكن؟ معنـا فـي نفس الغرفـة! نحـن لا يوجـد عنـدنا سـواها، وهـي لا تكـاد تسـعنا فـنحن كالسردين داخلها.
- فردوس: لا يا أمي يبني غرفـة بجانـب غرفتنـا، فـأكون معكم وأسـاعدكم، فهـو لا يـأتي إلا يـومي الخمـيس والجمعـة، وأنـا بإمكاني العمل في الأيام الأخرى.
- أم العبد: نعم والله فكرة جيدة، وإذا كان يريدك سيوافق.

طرحـت (فـردوس) هـذه الفكـرة وهـي تتمنـى أن لا يوافـق موسـى كـي تبقـى مـع إخوتهـا ومـرت الأيـام وجـاء يـوم الجمعـة موعـد اخـذ الـرد مـن (فـردوس) فكـان موسـى ينتظـر هـذا اليـوم بفارغ الصبر، فقد استيقظ باكراً وحلق ذقنه ولبس ملابسه.

- موسى: أمـي .. أمـي هل أنـت جـاهزة، هيـا لنـذهب إلـى بيت خالتي أم العبد.
- الخالة حنان: أنا جاهزة يا حبيب أمك، ثـم خرجـا وركبـت أمـه الحصـان وقاد موسى الحصـان وساروا إلى بيت خالته أم العبد وهمـا يتجاذبـان أطـراف الحـديث، وموسـى يمنـي نفسـه بالموافقة.
- موسى: هل سيوافقون يا أمي.
- الخالة حنان: ولم لا .. هل سيجدون أفضل منك "مـا شـاء الله عليـك" جمـال وشـباب وراتـب آخـر الشـهر وغرفتـك مبنيـة وجـاهزة، والله أختـي أم العبـد تحلـم أن تجـد عـريس لابنتهـا أفضل منك.
- موسـى: يـا ليـت يـا أمـي يوافقـون، والله لا أعلـم لمـاذا قلبـي مقبوض .. خائف أنهم يرفضون.

وصل موسى وأمه إلى البيت خالته أم العبد مبكرين، وعندما استقبلتهم فردوس تهلل ووجهه فرحاً، وجلس موسـى وعينـاه لا تفارقـان فـردوس، فهـو يرصـد حركاتهـا كأنـه قنّـاص يريـد أن

يقنص فريسته. أعدت (فردوس) الشاي وجلس الجميع يحتسون الشاي وفتحت الخالة حنان الموضوع:

- الخالة حنان: ها .. ماذا حصل في موضوعنا "إن شاء الله" فيه نصيب لابني موسى مع بنتك فردوس.
- أم العبد: طبعاً .. طبعاً، وهل سنجد عريس أفضل من موسى لابنتنا.
- الخالة حنان: إذاً سنكتب الكتاب في الأسبوع القادم "إن شاء الله".
- أم العبد: لكن العروس لها شرط.
- الخالة حنان: شرط .. وما هذا الشرط؟
- أم العبد: إن ابنتنا ترفض أن تتركنا أنا وإخوتها إذا كان موسى يحبها ومصر على الزواج بها.
- موسى: وكيف .. فأنا أحبها.
- أم العبد: أن تبني لها غرفة بجانب غرفتنا حتى تبقى جنبي وتساعدني.
- موسى: بسرعة دون أن ينتظر .. أنا موافق يا خالتي.
- الخالة حنان: موافق .. وغرفتك التي بنيناها بجانب بيتنا ماذا سأفعل بها، ووالدك هل سيوافق؟
- موسى: نعم سيوافق.
- الخالة حنان: والله يا أختي أم العبد هذه عادة جديدة سنتها بنتك، كل عمر العروس تأتي إلى بيت العريس، وبنتك تريد أن يأتي العريس إليها ويسكن عندها. والله يا أختي أم العبد أنا خائفة بأن لا يوافق أبو موسى على هذا الشرط.
- موسى: هذا دورك أنت يا أمي. إن النساء لهن تأثير على قرارات الأزواج.
- الخالة حنان: ما أنت عارف أبوك يا موسى عصبي ومزاجه صعب وليس من السهل إقناعه ولكني أعدك أن أحاول.

عاد موسى وأمه إلى بيتهم وموسى لحظة يحس بالفرح ولحظة يحس بالخوف والحزن، وعندما وصلوا جلس موسى وأمه وجلس والد موسى بقربه وقال: يا حنان هيا أعدي إبريقاً من الشاي ودعيني مع موسى لوحدنا، فذهبت أم موسى للمطبخ:

- أبو موسى: ها .. ماذا حصل مع ابنة خالتك؟

- موسى: إنها موافقة يا أبي.
- أبو موسى: مبروك يا ولدي.
- موسى: بارك الله فيك يا أبي، ولكن يا أبي فردوس لا تريد أن تبتعد عن إخوتها وأمها كي تساعد والدتها بالعمل.
- أبو موسى: غاضباً عال .. عال، عشنا وشفنا العريس يزف إلى العروس وليس العكس " يا ناس انشقلبت الدنيا " يفتح الله ببنت أم العبد ما تلزمنا.

حاول موسى إقناع والده إلا انه أبى الموضوع جملة وتفصيلاً، غضب موسى ولبس بزته العسكرية وحمل حقيبته وقال لأمه: وداعاً يا أمي لن تري وجهي بعد ألان إلا إذا ذهب أبي وخطب لي فردوس ووافق على شروطها، عاد موسى إلى كتيبته وهو مثل قيوط جريح، وبدأ يجلس لوحده وهو حزين شارد الذهن.

حاول أصدقاؤه في المعسكر التخفيف عنه ومعرفة السبب الذي أدى إلى تغيير طباع موسى من المرح والنشاط إلى هذا الحد، هذا الهدوء والحزن والشرود إلا أن موسى ظل كاتماً ألمه وسره يعيش مع صورة فردوس التي لا تفارق خياله.

مرّ أسبوع ثم أسبوع ثم شهر وموسى لم يأتي في إجازة إلى بيت أهله فجن جنون أمه، وبدأت بالضغط على والد موسى كي يوافق على شرط فردوس فيقول لها أبو موسى: أنت التي علمته كيف يعصى أوامري، لأنها ابنة أختك، فتجلس تبكي وتندب حظها وتقول ليتها لم تأتي إلينا ليت ابني يعود كما كان.

أما موسى فقد أصابه الهزال ولاحظ رفاقه وقادته بأنه لم يطلب إجازة منذ شهرين، فأرسل قائد الكتيبة في طلب والده، وعندما حضر والد موسى إلى الكتيبة وشاهد ابنه كيف أصبح هزيلا حزينا، طلب من القائد أن يعطيه إجازة طويلة حتى يخطب له ويزوجه، فقال موسى: إن لم تكن فردوس لن أعود، فقال والد موسى ستكون فردوس إن شاء الله.

عاد موسى إلى البيت فلما رأته أمه بهذه الحال جن جنونها فقالت: يا ويلي ماذا حصل لابني ثم دخلت إلى المطبخ وطهت له ديكا روميا وأخذت تطعمه بيدها قائلة: أريدك أن تستعيد عافيتك قبل الزواج وبعد مرور ثلاثة أيام كان موسى قد استعاد عافيته وصحته التي كاد أن ينساها.

أما فردوس فقد سرت لعدم مجيء موسى وأهله وقالت: ربما لم يقبلوا أهل موسى شرطي وسأبقى حرة أساعد أمي وإخوتي. لكنها بعد مرور شهرين فوجئت بقدوم خالتها حنان ووالد موسى وموسى وبعض أقارب العريس ومعهم كبش وكيسا من الأرز وكيسا من السكر وبعض الأغراض محملة على الحصان. ثم أدخل الرجال الأغراض إلى البيت وجلسوا جميعاً أمام البيت على حصيرة وبعض الفرشات الرثة وقام أحد الحضور وذبح الكبش وعلقه على شجرة، وبدأ بسلخ جلده وبدأت النسوة بإشعال النار ونقع الأرز لطهي الطعام.

وما هي إلا لحظات حتى حضر رجال من أقارب العروس، أعمامها وأبنائهم يحملون سكاكين وعصياً وهم يهددون ويتوعدون، وقاموا بإطفاء النار قائلين هيا اذهبوا ليس لكم عندنا عرائس، إن فردوس لابن عمها وابن العم ينزل العروس من فوق ظهر الفرس، هيا اذهبوا وأي شيء خسرتموه سندفع لكم ثمنه وسيكون كتب كتاب فردوس على ابن عمها هذا اليوم.

عاد موسى وأهله يجرون أذيال الخيبة والفشل وأما فردوس فكانت حزينة بائسة ترى الجميع يبيع ويشتري فيها وهي العروس صاحبة الشأن، لا أحد يأخذ رأيها وجاء عم فردوس سامي وقال لها لقد ظننت أنك ما زلت صغيرة على الزواج وما دام تريدين الزواج هذا ابن عمك فرحان هو أيضاً جندياً سنكتب كتابكما اليوم ويسكن هو في أرض أخي بدلاً من أن يأتي رجل غريب وعشيرة أخرى ويسكن في أرض أخي، والله حكي "جحا أولى بلحم ثوره" وأنت دمنا ولحمنا، ونحن أحق من ابن خالتك.

نادى سامي عم فردوس على رجل وقال له: اذهب إلى بيت الشيخ مسعود وناده ليكتب كتاب فردوس وفرحان، فذهب الرجل وعاد ومعه رجل ذو لحية بيضاء طويلة وعلى رأسه جبة حمراء وبيده سجلاً كبيراً، أتى وجلس في صدر الغرفة.

- الشيخ: هيا نادوا العروس أنا مستعجل عندي كتب كتاب آخر في القرية المجاورة.

سامي عم فردوس وأمسك بيدها قائلاً إياكِ أن ترفضي وإلا والله لأجعل هذا الخنجر يخرج من ظهرك ووضع يده الأخرى على الخنجر.

- فردوس: حزينة صامتة صمت الأموات.
- الشيخ: هل توافقين على فرحان ابن عمك زوجاً لك؟
- فردوس: صامته لا تتكلم ...
- الشيخ: إنها لم تتكلم ربما قد تكون غير موافقة.
- عمها: إنها خجلانة ليس إلا ... ربما قد تكون غير موافقة.
- العم سامي: يمسك أصبع فردوس ويضعه في الحبر ثم يضع أصبعها على الورقة .. وهذه بصمتها يا سيدي الشيخ.

وعلى الرغم أن فردوس قد أتمت المرحلة الإعدادية، إلا أنه لم يسمح لها حتى بكتابة اسمها ومنذ ذلك الوقت فرض عليها زوجاً لم تحبه ولا حتى ترتاح له ولكن ما يخفف عليها الوضع أنه في الجيش فلا يأتي إلا في يوم الخميس والجمعة، مما يجعلها بقية الأيام حرة تعمل مع والدتها وأيضاً خفف عليها لأنه سمح لها بأن تذهب إلى القلعة يوم الجمعة لتبيع الأطباق.

وبعد أن تبنى غرفة جانب غرفة أمها، وجهز هذه الغرفة بمستلزمات الحياة البسيطة وأحضر لها ثوباً جديداً وخاتماً ذهبياً وساعة وبعض الحناء ودعى أهل القرية رجالاً ونساءً، وأقيمت الولائم وبدأ الرجال بالأهازيج والنساء بالغناء والزغاريد وزفت فردوس إلى فرحان ابن عمها وهي تذرف الدموع مدراراً، تسير كأنها مخدرة أو كأنها في كابوس تشعر بخوف ورعب شديد مما هي مقبلة عليه، فهي صغيرة ليس لديها أية خلفية عما سيحصل بها هذه الليلة ولا تعلم ماذا ينتظرها خلف هذا الباب.

دخل العريس وجلس بقرب عروسه وخرج المحتفلون وأغلق الباب وبقيت فردوس وابن عمها وحيدين فخلع العريس ملابسه وهجم عليها كثور هائج ينزع ملابسها، فجرت صوب الباب تريد الهرب، إلا أنه أمسك بها من شعرها وطرحها أرضاً وهي تصرخ وتنادي أمها، وأمها تبكي خلف الباب وتطرق الباب بشدة، وبعد أن أثبت فرحان رجولته فتح الباب ودخلت أمها إليها فرأت ابنتها فردوس بشعرها المنكوش والكدمات واللكمات ظاهرة على وجهها الناعم البريء، فحضنتها وأخذت تبكي وخرج فرحان خارج البيت.

أخذت أم فردوس ابنتها وغسلت وجه ابنتها ومشطت شعرها وأحضرت لها عشاءاً، لكن فردوس ارتفعت حرارتها وأصيبت بغيبوبة ونزيف فصرخت أمها .. واويلاه ماتت ابنتي .. ماتت

ابنتي، فركض فرحان وحملها بين يديه وركض إلى جارهم وهو سائق بكب وحملها ودخل في البكب هي وأمها، وذهبوا جميعاً إلى مستشفى عجلون، وهناك بقيت فردوس ليلتها تلك في المستشفى تحت المراقبة الصحية وأخذت العلاج اللازم وعادت صباحاً إلى البيت وهي تكاد تكون محطمة نفسياً، فهي دائمة النظر إلى الأرض ولا تحدث أحداً وان سئلت عن شيء أومأت برأسها فقط وأصبح أكلها قليل ونشاطها قليل.

بقيت على هذه الحالة مدة من الزمن لكنها تذكرت وعدها لإخوتها، وذات صباح قامت وغسلت وجهها وذهبت إلى البيادر لتجمع القش، فرحت أمها ولحقت بها وأخذتا تجمعان القش وعادتا إلى البيت تحملان رزماً من القش، نقعنه بالماء وجلسن يشربن الشاي الذي أعدته أختها مي، فقد بدأت تساعد في بعض الأعمال المنزلية لتساعد والدتها.

أما فرحان منذ تلك اللحظة التي أحس فيها بأن فردوس قد تموت وأنه كان السبب في ذلك أصبح يداريها ويدللها ويلبي طلباتها ورغباتها، أحبها فرحان بعد أن عاش معها واقتنع ببعض مبادئها وأفكارها التي تحث على التطور والنهضة للقرية وأبنائها حيث بدأت بأسرتها، فأخذ يعطي قسماً من راتبه لزوجة عمه كي تنفقه على تعليم أبناء عمه، فادخرت زوجة عمه مبلغاً من المال وقالت لفردوس إن لدي مبلغ من المال وفرته مما يعطيني إياه فرحان، ما رأيك أن نشتري به بقرة فرحت فردوس وقالت نعم الفكرة يا أمي.

اشترت أم العبد بقرة وقالت في نفسها إن شاء الله ستصبح بقرات وبدأت أم العبد وابنتها فردوس تبيعان الحليب والزبدة للجيران والسمن والجميد، وازدادت النقود بين يدي أم العبد فاشترت بقرة أخرى ، وهكذا حتى أصبح عندها قطيع من البقر خلال ثلاث سنوات.

نجح طارق ونال الثانوية العامة والتحق بإحدى الجامعات لدراسة القانون، مرّت ثلاث سنوات على زواج فردوس ولم تنجب أطفالاً فقد كان فرحان مطمئن ويقول إن فردوس ما زالت صغيرة وهي لم تبلغ العشرين من عمرها بعد، ولم تفكر فردوس بموضوع الإنجاب لأن وقتها مشغول بالعمل مع والدتها في كروم الزيتون والعنب وحظيرة الأبقار وصناعة القش، فليس

لدبها وقت للتفكر بهذه القضية وحتى أم العبد والدتها كانت تقول دائماً إن التفكير في هذا الموضوع ما زال مبكراً.

وذات صباح جاء فرحان إلى زوجته ووالدتها ودعاهما لحضور حفل زواج أخته نجاح التي في مثل سن فردوس وذهبتا إلى الفرح وغنت فردوس ورقصت بمرح وسرور وعند غروب الشمس عادتا إلى البيت ووضعتا العلف والماء للأبقار، واستقر الوضع المادي لعائلة فردوس.

وهذا أخوها طارق متفوق في الجامعة، وهذا زهير مواظب على دراسته وسيتقدم هذا العام لامتحان الثانوية العامة، مر هذا العام وكل شيء يسير كما تحب فردوس ودون منغصات، وجاءت نهاية العام ونجح زهير بالثانوية العامة نجاحاً باهراً وحصل على منحة لدراسة الطب في بريطانيا على نفقة الدولة، فشكرت فردوس الله وحمدته على حسن عطاياه.

- فردوس: لقد تحسن الوضع المادي يا أمي.
- أم العبد: الحمد لله يا ابنتي.
- فردوس: سوف أطلب من فرحان أن يحضر معلم البناء ليبني لنا غرفة كي نستقبل بها أصحاب طارق وزهير.
- أم العبد: كلميه في الأمر فليس لدي مانع ونعم الرأي.

أحضر فرحان معلم البناء وبدأ ببناء الغرفة الجديدة وكانت سعادة فردوس لا تقدر، فها قد حققت جزء من أحلامها، فهذا طارق يدرس محامي وزهير يدرس الطب في بريطانيا، أما مي فقد كبرت وأصبحت في الثانوية أيضاً.

جلست فردوس وأمها وفرحان زوجها وأمامهم إبريق الشاي يشربون الشاي ويتسامرون ويضحكون وبينما هم كذلك إذ دخلت عليهم أم فرحان وهي تنادي من بعيد فرحان .. فرحان تعال بسرعة، اذهب واحضر الداية لأختك.

- فردوس: لأم فرحان اجلسي يا عمتي اشربي معنا الشاي.
- أم فرحان: شكراً يا فردوس، أشربه عندكِ وأنت قد أنجبت الصبي الذكر ليحمل اسم ابني ويسند ظهره عند كبره.

وأدارت أم فرحان ظهرها، ألقت هذه الكلمات كقنبلة مدوية هز دويها كيان وعقل فردوس وكأنها بداية النهاية، فهو أول مسمار دق في نعش زواج فردوس وفرحان. أحضر فرحان

الداية وهو فرح وجلس ينتظر أن تقوم أخته بالسلامة ويرى من سيقول له خالي في المستقبل، جلس أمام البيت وهو يسمع صراخ أخته وهو يفرك يديه بعصبية ويقرأ لها المعوذات ويدعو لها أن تقوم بالسلامة، وما هي إلا لحظات حتى سمع صراخ الطفل، صاحت أم علي: ولد .. ولد إنه ذكر يتربى بعز أبوه وخاله فرحان.

- فرحان: يمد يده في جيبه وأخرج خمسة دنانير وناولها لأم علي وهو يقول الحمد لله على سلامتك يا أختي ومبروك الولد.
- أم فرحان: أي شد حيلك وتشطر أنت وفردوس وهاتوا لي حفيد ولد يحمل اسمك ويسند ظهرك ففردوس في مثل عمر أختك وها أختك قد أنجبت، عالج زوجتك ربما تكون عاقر لا تلد فحينئذ نزوجك زوجة أخرى غيرها فتنجب لك دزينة أولاد بدل من هذه الزوجة التي مثل البيت الوقف. طأطأ فرحان رأسه وأحس بحرج عميق ينزف داخله، وعاد إلى البيت متثاقل الخطى كأنما يحمل على كاهله حملاً ثقيلاً، وصل البيت وهو متكدر حزين وجلس أمام البيت وبدا ساهماً واجماً شارد الذهن ينكش الأرض أمامه بعود صغير.

لاحظت فردوس ذلك الشرود فسألته:

- فردوس: فرحان ما بك؟ هل حصل لأختك شيء؟
- فرحان: لا هي بخير.
- فردوس: هل مات ابنها؟
- فرحان: أرجوك أريحي قلبك.
- فردوس: ماذا حصل؟ ما بك واجماً متكدر المزاج؟ لقد كنت بخير قبل أن تذهب، لماذا عدت وأنت منزعج هكذا؟
- فرحان: يصمت قليلاً .. لا شيء لا شيء.
- فردوس: ستقول لي ماذا حصل؟ لن أدعك حتى تقول لي ماذا حصل؟
- فرحان: إن أمي تعيرنا بأننا لا ننجب أطفال وشبهتنا بالبيت الوقف.
- فردوس: إنني ما زلت في الحادية والعشرين من عمري وما زال أمامي وقت طويل، سوف أذهب وأعرض نفسي على الطبيب. إن أنجبت كان خيراً وإن لم أنجب سوف أخطب لك

عروساً جديدة فتنجب لك دزينة أطفال، قم لتناول طعام العشاء واتكل على الله، وأخذت تبتسم وتحاول إخراجه مما هو فيه، قام فرحان ودخل البيت وقال لها: إن شاء الله في نهاية هذا الشهر سأعطيك الراتب لتذهبي مع أمك إلى الطبيب في المستشفى ليقوم بفحصك وإعطائك العلاج اللازم.

انتهت الإجازة وذهب فرحان إلى المعسكر وهو كاسف البال حزين وبقيت فردوس في بيتها أيضاً متألمة حزينة، فقد دق ناقوس الخطر في بيتها بعد أن أحست بالاطمئنان والمحبة لفرحان، وبعد أن استقر وضعها المادي والنفسي وأخذت تفكر وتقول في نفسها ماذا لو كنت عاقراً، هل سيطلقني؟ فأصبح مطلقة فتسلط عليّ أهل القرية فتنسج حولي الحكايات والإشاعات وربما أقتل ثمن إشاعة مغرضة كاذبة أو أقبل بالذل والحيرة والغيرة، فسأعيش مع زوجة أخرى وأموت كل يوم. يا إلهي .. ما هذا الذي حصل لي؟ ماذا أفعل؟ إن جميله يطوق عنقي وعنق إخوتي.

وبينما هي شاردة مع أفكارها إذ دخلت عليها أمها وهي تقول:

فردوس أين زوجك؟ هل ذهب إلى المعسكر؟ فلم ترد فردوس، فقد كانت شاردة الذهن.

- أم العبد: تنظر إلى ابنتها وتصرخ بها .. فردوس أنا أناديك ما بالك لا تسمعين بما تفكرين.
- فردوس: تنظر إلى أمها نظرة حزن .. لا شيء يا أمي، اجلسي يا أمي.
- أم العبد: لا لن أصدق، إن هناك شيء وشيئاً كبيراً أيضاً.
- فردوس: لا يوجد شيء.
- أم العبد: أنت ابنتي التي أعرفها جيداً، قولي ما بك لعلي أساعدك.
- فردوس: المساعد رب العالمين يا أمي .. والله إنني خائفة أن أكون عاقراً.
- أم العبد: ما هذا الكلام ما زلت صغيرة.

- فردوس: هزت رأسها باستهزاء .. هذه ابنة عمي صغيرة، إنها في مثل سني لقد تزوجت بعدي وأنجبت ولداً هذا اليوم وأم فرحان عيرت فرحان بعدم الإنجاب.
- أم العبد: ما هذا الكلام؟
- فردوس: وقالت له أمه إن زوجتك مثل بيت الوقف وطلبت منه أن يتزوج عليّ.
- أم العبد: أحست أم العبد بالخطر المحدق بابنتها .. " برى وبعيد الشر يا ابنتي عنك"، أنت مثل الوردة .. والله ما فيك شيء ولا عندك مشكلة، لماذا لا تكون المشكلة عند ابنها؟ فردوس: طلب مني فرحان أن أذهب في نهاية الشهر إلى المستشفى وإنه سيعطيني راتبه كي أدفع أجرة الطبيب والعلاج.
- أم العبد: والله زوجك شاب شهم، ويا ريت ربنا يعطيك أطفال حتى ما نخسره ويستمر زواجك.
- فردوس: يا ليت يا أمي .. يا ليت.

أتى فرحان في نهاية الشهر وناول فردوس راتبه الشهري وقال لها عندما تنتهي إجازتي أذهبي مع أمك إلى الطبيب. أخذت فردوس النقود وحضنتها برقة كأنما تحضن طفلها الصغير، وأحست بشوق شديد إلى الأمومة ومشت إلى الخزانة الخشبية ووضعت النقود فيها وأغلقتها بمفتاح كان معلقاً في صدرها.

قضى فرحان وفردوس إجازة سعيدة وهما يأملان بأن ينجبا الأطفال بعد زيارة فردوس للطبيب، وأخذا يفكران بنوع الجنين. هل هو ذكر أم أنثى؟ هي تريدها أنثى، وهو يريده ذكراً وهو يريد أن يسميه "سامي" على اسم أبيه وهي تريد تسميتها جميلة، ونام فرحان وفردوس وهما سعيدان ولا يعلمان ماذا يخبئ لهما القدر وبعد انتهاء الإجازة ودع فرحان زوجته فردوس وهو يكاد يطير فرحاً عائداً إلى معسكره.

أما فردوس فقد نادت أمها وذهبت معها إلى المستشفى وهي تفكر عند من المشكلة، هل هي عند فرحان؟ أم عندي. إلى أن وصلتا المستشفى، دخلت فردوس وأمها المستشفى إلى عيادة الطبيب وفحص فردوس، وقال لها: لا تخافي يا ابنتي ما زلت صغيرة ولدينا وقت للعلاج، يوجد عندك التهابات بسيطة،

سأصف لك علاجاً لهذه الالتهابات وأيضاً علاجاً لتنظيم الدورة الشهرية، وهذا العلاج ستأخذينه لمدة ستة شهور تعودين إلى العيادة إن لم يتم الحمل لأصف لك منشطاً للمبايض وهذه مشكلة علاجها بسيطة وستحملين "إن شاء الله" وتنجبين حتى تملين الأطفال.

فرحت فردوس وأمها بهذا الكلام وعادتا إلى البيت مسرورتين، ومرت أسابيع وفردوس تأخذ الدواء باستمرار، وذات يوم كانت تجلس وأمها أمام البيت .. إذ بطارق يعود وبيده جريدة يلوح بها من بعيد، ركضت إليه ميّ وهي تقول النتائج ... نتائج الثانوية قد نجحت .. نجحت. أليس كذلك؟ نعم نجحت يا ميّ بتفوق، أخذت فردوس وأمها تزغردان فهي أول فتاة في القرية قد أتممت تعليمها الثانوي.

سمعت نساء القرية صوت الزغاريد فاتجهن صوب بيت أم العبد ليعرفن السبب، فكلما وصلت واحد تقول هل خطبت ميّ؟ فتقول أمها: لا .. لقد نجحت. فيقلن لها ما بالك مبسوطة ماذا ستعمل بشهادتها؟ ما هو كل فتاة أخرتها للزواج، زوجيها واخلصي من مصروفها وهمها، أم فرحان: ما في أحد متقدم لخطبتها لأن بنات أم العبد عقيمات لا ينجبن أطفال، فها هي أختها فردوس مع ابني صار لها سبع سنوات ولم تنجب بعد.

عادت النسوة إلى بيوتهن وهن يقلّبن شفاههن استهزاءاً وينظرن إلى بعضهن البعض ويقلن بسخرية .. قال ناجحة .. صايرة شاب "إن شاء الله" ستبعثها أم العبد إلى الجامعة مثل أخواتها طارق وزهير.

- إحدى النساء: تضحك بسخرية ربما .. سترسلها إلى بريطانيا عند زهير.
- امرأة أخرى: صحيح وأين هذه بريطانيا .. أهي في الغور؟
- امرأة أخرى: لا...لا يقولون أنها وراء البحار يعني بيننا وبينهم بحر.
- المرأة الأخرى: تشهق .. وكيف عبر البحر، زهير ووصل إلى هذه البلد.
- المرأة الأخرى: يقولون انه ركب طيارة.
- امرأة أخرى: يا ويلي وطار بالجو مثل العصافير.

- هذا ما دار بين النسوة أما ما دار بين فردوس وأختها ميّ فقد كان مختلف تماماً:
- فردوس: سنرسلك إلى دار المعلمات كي تدرسّين في مدرسة القرية فكل معلماتها من خارج القرية فستصبحين أول معلمة من قريتنا.
- ميّ : وقبّلت أختها فردوس وأمها .. ربي يقدرني أنا وإخوتي على رد جميلكما أنتما وأبن عمي فرحان.
- فردوس: ولا جميل ولا حاجه أنت أختي .. ثم التفتت إلى أمها وقالت : هيا نحلب البقرات يا أمي، فأنت تعرفين غداً موعد مراجعتي عند الطبيب فيجب أن نكمل عملنا اليوم.

استيقظت فردوس في الصباح الباكر واعدت نفسها ونادت على أمها:

- فردوس: هيّا يا أمي لقد تأخرنا أرجوك أسرعي يا أمي.
- أم العبد: هيا أنا قادمة.

ثم سارتا إلى الشارع العام ثم استقلتا سيارة القرية إلى المستشفى في عجلون، وهناك دخلت فردوس وأمها إلى الطبيب، وفحصها الطبيب.

- الطبيب: لا يوجد أي مانع للحمل عندك وكل شيء عندك تمام.
- أم العبد: الحمد لله.
- الطبيب: لا اعرف ما السبب في عدم حملها إلا إذا كان زوجها هو السبب.
- أم العبد: يا قدرة الله ممكن يكون الرجل هو السبب في عدم الإنجاب.
- الطبيب: نعم .. وعقم الرجل أصعب من عقم المرأة أيضاً.
- أم العبد: تضحك .. والله من يوم ما وعيت على الدنيا وأنا اسمع إن العقم دائماً من النساء. الطبيب: عندما يأتي زوجك من المعسكر تعالي وهاتيه معك كي افحصه وأعالجه.
- فردوس: "إن شاء الله" يا دكتور.

ثم عادتا إلى البيت وكان همّ فردوس هو كيف ستوصل هذا الخبر لفرحان، وسارت وهي تحدث نفسها، إن قلت له انه هو السبب ستجرح كرامته، لا ... لا لن أقول له.

- فردوس: تلتفت إلى أمها .. أمي لا أريد أن يعرف فرحان انه هو السبب في عدم الإنجاب.
- أم العبد: ولكن، ألا تريدين أن تنجبي طفلاً بدلاً من أن تعيرك أم فرحان بأنك عاقر.
- فردوس: لا ...لا سأقول له ولكن ليس الآن، أريد بعض الوقت لأنقل له الخبر شيئاً فشيئاً حتى لا ينزعج.
- أم العبد: أنت وزوجك حرة .. اعملي ما تشائين.
- (وعندما وصلنا البيت وجدنا فرحان قد عاد إلى البيت من المعسكر):
- فردوس: خيراً "إن شاء الله" ما الذي أتى بك انه ليس موعد إجازتك، موعد إجازتك بعد يومين.
- فرحان: تذكرت أن اليوم هو موعد مراجعتك للطبيب، فأحببت أن أعرف.
- فردوس: ولم العجلة.
- فرحان: ماذا حصل؟ إن شاء الله النتائج إيجابية؟
- فردوس: تحاول أن تجد سبباً آخر تقوله لفرحان .. إن .. إن الطبيب قال آ ..آ .. إنني أصبحت جيدة ووصف لي بعض المنشطات وإن شاء الله سأحمل بعد انتهاء الدواء.
- فرحان: ومتى موعد انتهاء الدواء.
- فردوس: بعد ستة أشهر.
- فرحان: يلتفت إلى فردوس .. أريني الدواء.
- فردوس: الدواء آه .. الدواء إن .. إنني لم أشتر الدواء، لم أكن أحمل نقود تكفي لشرائه، سأرسل الوصفة مع طارق ليشتريها لي من الصيدلية وهو ذاهب للجامعة.
- فرحان: ما في داعي تعطيها لطارق أنا سأذهب بعد قليل إلى عجلون وأشتري الدواء، هيا ناوليني الوصفة.
- فردوس: ولماذا أنت على عجلة من أمرك؟ استرح قليلاً الآن وسأبعثها مع طارق، ونظرت إليه وهي تبتسم .. ألست جائع؟ سأعد لك الطعام.
- فرحان: يحضنها ويقبلها .. لا يا حبيبتي، فقد تناولت طعام الغداء في المعسكر.
- فردوس: إذن سأعد لك الشاي.

- فرحان: هات .. هات الوصفة، أريد الوقت أن يمر بسرعة حتى أرى بطنك قد انتفخت وتنجبي لي ولي العهد.
- فردوس: فتحت الكيس وأوهمته بأنها تبحث داخله وهي تفكر في حيلة تخرجها من هذا المأزق، فقد أحست بأنها فأر داخل مصيدة.
- فرحان: أين الوصفة.
- فردوس: ألقت الكيس على الأرض ونظرت إليه .. إنني نست الوصفة عند الطبيب.
- فرحان: يشهق .. عند الطبيب مستحيل، قد تكون أخذتها عمتي أم العبد ووضعتها في جيبها.
- فردوس: لا .. لا.
- فرحان: يركض إلى عمته .. عمتي .. عمتي. أعطني وصفة الدواء الخاصة بفردوس.
- أم العبد: وصفة .. وصفة ماذا؟
- فرحان: وصفة الطبيب.
- أم العبد: إن الطبيب لم يكتب لها أي علاج، فقد قال لها لا يوجد عندكِ شيء، وأنت تنجبين ولست عاقر.
- فردوس: تصرخ، أمي .. ماذا قلت لك.
- أم العبد: تنظر إلى فرحان .. يكفي تظل أم فرحان تعيرني بعدم الإنجاب، خليها تأخذ ابنها وتعالجه.
- فردوس: لماذا يا أمي؟ لماذا يا أمي قلت ذلك؟
- فرحان: فردوس .. تكذبين عليّ وتتآمرين أنت وأمك عليّ!
- فردوس: لا يا ابن عمي.
- فرحان: أنت تستغفلينني يا فردوس.
- فردوس: لا والله لم أستغفلك.
- فرحان: لقد مرّ على زواجنا ثماني سنوات وأنت لا تنجبين، والآن آخرتها تقولين أنا السبب، أنا لست عقيم أنا رجل وكلي رجولة .
- فردوس: اعرف يا ابن عمي ولكن الطبيب قال انه يريد أن يفحصك ربما يكون عندك ضعف بسيط فيعالجك.
- فرحان : لن اذهب إلى هذا الطبيب الكاذب ساترك لك البيت يا كاذبة، ابقي مع أمك وسأعود إلى أمي.

ثـم حمـل ملابسـه فـي كـيس وهـم بـالخروج إلـى بيـت أمـه، وجلست فردوس تبكي زواجها الذي ينهار وحاولت التمسك به قائلة:

- فردوس: فرحان أنا أريدك سواء كان بمقدورك الإنجاب أو لا.
- فرحان: ينظر فرحان إليها نظرة قاسية .. ابتعدي عني وكفاية خداع وأكاذيب أنتي لا تنجبين "شجرة بلا ثمرة قطعها حلال "أنت طالق ...طالق ...طالق بالثلاث"، سأذهب إلى أمي كي تخطب لي عروساً.

دخل فرحان بيت أمه فرأت بيده كيساً ففتحته ونظرت به.

- أم فرحان: يا حبيب أمك طردتك بنت أم العبد، قليلة الأصل "أكلتك لحم ورمتك عظم" الله يجازيها، لكن ولا يهمك وأنا أمك ومن قصتي ومسكت خصلات شعرها المتدلية من فوق عينيها سأزوجك أجمل منها والله لن يأتي آخر الشهر إلا والعروس في بيتك.
- فردوس: فقد احمرت عيناها من كثر البكاء.
- أم العبد: وما بك أهلكت نفسك بالبكاء، الذي يراك يظن أن بينكم عشق قيس وليلى، ألا تذكرين أن زواجك منه رغماً عنك، ألا تذكرين عمك سامي عندما غمس يدك بالحبر وبصمك على ورق كتب الكتاب.
- فردوس: أرجوك يا أمي .. أرجوك إن فرحان ابن عمي وزوجي وقد تعودت عليه فبيننا عشرة .. ثماني سنوات وأنت تعلمين انه ساعدنا في تعليم إخوتي.

مرت عدة أسابيع وفردوس متكدرة المزاج دامعة العينين ذابلة كزهرة مر عليها أيام لم تشرب الماء.

وذات يوم كانت تصنع الإطباق إذ سمعت صوت زغاريد وأغاني في بيت عمها سامي والد فرحان، فقامت مسرعة إلى ثوبها الجديد الذي احضره لها فرحان في الإجازة الأخيرة ولبسته بسرعة البرق ووقفت أمام المرآة وكحلت عينيها ورشت قليلا من العطر، نظرت أم العبد وقالت ربما جنت ابنتي نظرت إليها مليا وقالت في نفسها كم هي جميلة، والله مثل بنات المدينة، فستان احمر مطرز بالقصب، وشال اسود وأيضاً مزين بالقصب .. والله كلها بتبرق.

خرجت فردوس وارتدت حذاءً كعبه عالي اسود اللون، فصاحت بها أمها فردوس أين أنت ذاهبة؟ ولكنها لم تجب.

- أم العبد: مي ... مي اركضي خلف أختك لأعرف ماذا برأسها.
- ميّ: ركضت ميّ خلفها قد دخلت بيت عمها فالتفت النسوة إليها.
- إحدى النساء: من هذه .. من هذه الفتاة الجميلة ذات الفستان الأحمر.

وعندما دخلت بدأنا بالرقص والغناء.

- إحدى النساء: ألا تخجلين ترقصين في عرس طليقك.
- فردوس: انه ابن عمي وأنا فرحة له، وأتمنى أن يرزق بطفل يحمل اسمه.

والدة فرحان تسمع الحوار .. فأمسكت بها من يدها وهي تقول لها: هيا اذهبي من هنا هيا، لقد حمدت الله لأنه خلصه منك أنت وأمك، أكلت ماله أنت وأمك وما زلت تلحقين به اخرجي هيا اخرجي ودفعتها خلف الباب.

وعادت فردوس وأختها مي، وقالت لها مي خلص يا أختي قسمة وانتهت "لا تكرهوا شيئاً عسى أن يكون خير لكم"، ربما يعوضك الله خيرا منه فقد ربيت أيتام وأنت مواظبة على صلاتك وصيامك فلا تقنطي من رحمة الله، هيا يا أختي وكّلي أمرك لله وعودي معي، عادت فردوس وقد ارتاح قلبها فكان كلام أختها حبات ثلج سقطت في قلبها وجوفها أراحها وطمأنت نفسها فهدأ روعها، وعندما وصلت خلعت ثوبها ونامت نوماً عميقاً كأنها لم تنم من قبل.

وفي الصباح وقفت سيارة القرية أمام بيت أم العبد ونزل طارق واخذ يخرج بعض الأغراض التي كان يستعملها وهو طالب في الجامعة، دخل وقبل يد أمه وجبين أخته فردوس وهو يقول زغردي يا أمي لقد تخرجت وها هي شهادتي، سأصبح محامياً يا أمي وأخذت تغني أمه وتزغرد.

- طارق: في العام القادم سيتخرج أخي زهير.
- ميّ: ماذا ستفعل يا أخي بعد تخرجك
- طارق: يضحك ويلتفت إلى أمه .. منذ الغد ستبيع أم العبد بقرتين وتعطيني ثمنها لأفتح مكتب في عمان وسأصبح محامياً مشهوراً، وبعد أن أستقر سأستأجر بيتاً هناك ونبيع

باقي البقرات وأفرش لكم بيتاً كبيت أهل المدينة ونسكن كلنا في عمان وتدرس ميّ هناك في الكلية، وأنت يا فردوس ستتعلمين الخياطة حتى تخيطي أجمل الملابس وتلبسين أحلى الملابس فقد آن الأوان كي ترتاحي، فقد تعبت أنت وأمي كثيراً.

- فردوس: لا تنسى تعب فرحان أبن عمك.
- طارق: أنه ابن عمي ولن أنسى جميله أبداً، فقد كان لنا الأخ الكبير.

وفي اليوم التالي ذهب طارق وأمه ومعهما بقرتين إلى عجلون وباع البقرتين ووضع ثمنها في جيبه وذهب إلى عمان وأستأجر مكتباً، وبدأ ممارسة أعماله وأثبت قدرته على كسبه القضايا الموكلة إليه وصارت له شعبية قوية خلال عدة أشهر وذات يوم جاء إلى أمه وقال لها:

- طارق: حضّري نفسك يا أم العبد كي ترحلي إلى عمان فقد استأجرت لك بيتا جميلا وواسعاً.
- أم العبد: على شرط أن لا تبيع الأرض والبيت هنا بل تؤجرهما. فإذا لم يعجبني السكن هناك سأعود إلى بيتي هنا في القرية، وأنا والله أحب السكن في القرية، ولكن أنا وافقت على الرحيل من أجل أختك فردوس، فأنني أراها تموت في اليوم مئة مرة كلما رأت فرحان أو زوجته الجديدة.
- طارق: وهذا هو هدفي يا أمي وأنا لن أؤجر البيت بل سأوسعه وأفرشه أحسن فرش حتى نقضي فيه أيام العطل والمناسبات التي تحصل في القرية، أما الكرم سأحضر له حارسا ويحرسه ويهتم به وسأعطيه راتب شهري.
- أم العبد: الله يرضى عليك يا أبني أرحت قلبي الآن أرحل إلى عمان وأنا مطمئنة .
- طارق: ينظر إلى فردوس .. ما رأيك يا فردوس .
- فردوس: الذي تراه موافقة عليه.
- طارق: أحزموا أمتعتكم وهيئوا الأغراض التي تريدونها أخذها وليكن في علمكم أن البيت هناك جاهز ولا ينقصه شيء وهذا البيت سنغلقه إلى أن أجهزه بأحدث الأثاث.

جهزت فردوس ومي أغراضهم جميعا وحزمن الحقائب وصعد

إلـى السيارة، ونظـر الجميـع إلـى البيـت الـذي عاشـوا فيـه حيـاتهم الماضية بأفراحهم وآلامهم وودعوه بنظرات كلهـا شـوق وحنـين كأنمـا يودعـون إنسـانا عزيـزا علـى قلـوبهم، وسـارت السـيارة ومرت أمام بيت فرحان وكان فرحان يقف على الباب ينظـر إلـى عائلة عمـه وهم يرحلون، فنظرت فـردوس مـن الشـباك ورمقتـه بنظـرات الـوداع والألـم والحـزن بـادٍ بوضـوح فـي عينيهـا فنظـر فرحان إليها وهو يشعر بأن قلبه قد رحل مـع ابنـة عمـه وزوجتـه التي أحـب وظلت نظراتـه تتـابع السيارة إلـى أن اختفت السيارة خلـف الجبـال، فجلـس خلـف البيـت وأخـذ يبكـي بصـمت وأدرك بقرارة نفسه أن أبناء عمـه قرروا إبعـاد فـردوس عنـه وقطـع كـل أمل لـه فيها.

وصلت عائلة أم العبد بيتهم في عمان ودخلوا البيت فشـاهدوا طقـم الكنـب الجديد بلونـه الأخضـر الجميـل، فجلسـوا عليـه وهـم يتحسسون نعومته:

- فردوس: آه ما أنعمه وكم هو مريح.
- ميّ: تسير على السجاد .. أنا في حلـم أم علـم أنـا أمشـي علـى سجاد .. سجاد.
- أم العبـد: علـى الكنبـة .. أن رأسـي تـؤلمني يـا فـردوس أريـد أبريقا من الشاي بسرعة.
- فردوس: حاضر يا أمي وذهبت إلى المطبخ.
- فردوس: نظرت بدهشة إلـى المطـبخ .. أوه مـا أجمـل المطـبخ والخزانـة وأخرجـت أبريـق الشـاي وفتحـت الحنفيـة وملأتـه بالماء، ثم اتجهت نحو موقد الغاز وأخذت تحـاول إشـعاله ألا أنهـا لـم تسـتطع فنـادت أخيهـا طـارق قائلـة: طـارق .. طـارق تعال علمني كيف أشعل الموقد.
- طارق: يضحك طارق .. تعالي سأعلمك الآن فتح الأسطوانة وفتح مفتاح الموقد فأشتعل الغاز.
- فردوس: يا رب القدرة يشتعل بدون نار. طارق
- طارق: نعم ليست بحاجة للكبريت ولا للقداحة.
- فردوس: والله هذه بسيطة.
- طـارق: يلتفت لفردوس .. وهذه غسالة تغسـل الغسـيل لوحـدها عندما تضعين الفيش في فتحـات الكهربـاء الموجـودة هنـا فـي الحائط.

وأخذ طارق يعلم فردوس وميّ على استخدام الأدوات الكهربائية، كالخلاط، المكوى، المروحة، وغيرها ..، وكانت فردوس تتعلم هي وأختها ميّ تتعلمان بسرعة. وفي اليوم التالي أخذ طارق أخته فردوس إلى مخيطة السيد إلياس وهو رجل مسيحي متدين، على خلق رفيع وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وأب لأربعة أطفال سارة ومريم وجورج وعيسى، أما جورج في العاشرة من عمره، وعيسى ثمان سنوات، أما سارة فعمرها ست سنوات ومريم أربع سنوات، أما أمهم السيدة (يولا) فهي تعاني من سرطان الثدي.

هذا ما عرفته فردوس من أخيها طارق أثناء سيرهم في الطريق وقبل وصولهم المخيطة، انتهت الطريق فقد كانت المخيطة قريبة من البيت ودخل طارق إلى مخيطة أبو إلياس:

- طارق: صباح الخير سيد أبو إلياس هذه أختي فردوس.
- إلياس: أهلاً وسهلاً، وماذا تريد؟
- طارق: أريد أن تعلمها الخياطة والتفصيل حتى أفتح لها مخيطة كي تنافسك. أمسك طارق المقص هيا .. هيا أمسكي .. إن فردوس ذكية وستتعلم بسرعة وربما تفوقك في الصنعة، إلياس: ينظر إلى الأرض خجلاً .. أختك على رأسي ولا يهمك يا سيد طارق، أنت عزيز عليّ وجاري الحبيب.
- طارق: التفت إلى فردوس وحضنها قائلاً هذه ليست أختي فقط، بل أمي وصديقتي العزيزة، أرجو أن تحافظ عليها وتخلص في تعليمها.
- إلياس: ولا يهمك .. ولا يهمك.
- طارق: تركها وخرج .. تستطيعين العودة إلى البيت أليس كذلك؟
- فردوس: نعم .. نعم اطمئن.

أخذها السيد إلياس في جولة داخل المخيطة وعرّفها على العاملات هناك وحدد لها الماكنة التي ستتعلم عليها، ونادى السيدة نادية لتعلمها أجزاء الماكنة، ثم تعلمها على عمل الماكنة ثم الدرزة وارتاحت فردوس للسيدة نادية، وأظهرت فردوس القدرة على التعلم بسرعة فائقة وبدأت بين فردوس وفتيات

المشغل علاقة حميمة، وعلمت النساء صناعة القش والتطريز اليدوي، فأضافت إلى مشغل السيد إلياس أشياء جديدة وأفكار مميزة في القص والتفصيل والتصاميم التي استوحتها من التراث ومن اللباس الريفي، حيث مزجت الحداثة مع التراث، وكانت فردوس نشيطة مخلصة في عملها وعلمت الفتيات الإخلاص والإبداع في العمل.

أعجب بها السيد إلياس بقدراتها وإخلاصها ولكنه لاحظ كأنها تدفن نفسها في العمل أو تحاول الهرب من نفسها إلى العمل.

- إلياس: يسأل طارق في إحدى السهرات .. يا طارق إن أختك نشيطة ومميزة فقد ازدادت أرباحي منذ أن عملت معي، وهي قوية الشخصية واجتماعية، إلا أنني أشعر بأنها تهرب من نفسها إلى العمل، هل تعاني فردوس من مشكلة؟
- طارق: ولماذا تظن ذلك؟ لأنني أراها كل وقتها للعمل والعبادة، فوقت الاستراحة عنها للصلاة وقراءة القرآن، فلا تأبه لنفسها ولا تشكو من التعب ولا تمل من العمل.
- طارق: نعم إن سبب سكني أنا وأهلي هنا هو مشكلة فردوس، أردت أن أهرب بها من المكان الذي يذكرها بمن أساؤوا إليها، إنه ابن عمي زوجها إنه لا ينجب وهو يظن أنها هي التي لا تنجب ويظن أن الرجال لا يصابون بالعقم، وأن النساء هن المسؤلات دائماً عن عدم الإنجاب.
- إلياس: دعها تأتي إلى أم جورج عساها تتسلى مع الصغار وأمهم وتسلي أيضاً أم جورج فأنت تعرف بأنها تعاني من سرطان الثدي.

أخذت عائلة أم العبد تتردد على عائلة إلياس وحصلت بين العائلتين صداقة متينة وتعلقت فردوس بالصغار، فهي تدرسهم وتلاعبهم وتخيط لهم الملابس الجميلة، وذات يوم في وقت الاستراحة في المخيطة جلست فردوس تقرأ سورة مريم فسمعها السيد إلياس من خلف الباب، وعندما أنهت قراءتها خرجت، فوجدت سيد إلياس خلف الباب.

- فردوس: خيرً سيد إلياس .. هل تحتاجني بشيء؟.
- إلياس: لا .. لا، ولكن سمعتك تقرئين عن السيدة مريم العذراء أم النبي عيسى.

- فردوس: نعم.
- إلياس: أيذكر دينكم نبينا عيسى؟
- فردوس: وأن للسيدة مريم سورة خاصة تحكي قصتها وقصة سيدنا عيسى.
- إلياس: قلت سيدنا .. أتؤمنين بدين عيسى؟
- فردوس: نحن نؤمن بكل الأنبياء والرسل، فالدين الإسلامي هو مجمل لكل الأديان السابقة ويدعو إلى ما تدعوا له الأديان التي سبقته فهو يدعو إلى الخير وعدم الظلم وينهى عن الشر وكذلك كافة الأديان وكل الأديان تدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولكن الكتب السماوية السابقة حرّف جزء كبير منها حسب أهواء الكهنة ورجال الدين، إلا القرآن فهو كما هو منذ أن نزل على سيدنا محمد **"صلى الله عليه وسلم"**، وقد نزلت آية في القرآن تثبت بأنه لم يحرّف أو يتغير حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1].
- إلياس: ولكن ماذا يقول قرآنكم عن السيدة مريم وابنها عيسى؟
- فردوس: يقول أنها شريفة عفيفة وأنها والدة عيسى نبي الله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وليس كما يدعي بعض المسيحيين بأن عيسى هو ابن الله وأن مريم زوجته[2]، فالله واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد[3]، وخالق كل الأشياء فكيف يتخذ زوجة وولد والله قوي قدير والزوجة والولد ضعيفان.
- إلياس: هل أستطيع أن أقرأ سورة مريم.
- فردوس: نعم تستطيع، ولم لا.
- إلياس: أعطني هذا القرآن الذي بيدك كي أقرئها.
- فردوس: عفواً .. لا يمسه إلا المطهرون[4]، فهذا كلام الله.
- إلياس: هل أنا وسخ .. أنا نظيف.

---

١ ) سورة الحجر الآية ٩.
٢ ) هذا المعنى ورد في سورة مريم في الآية ٣٥-٣٦.
٣ ) هذا المعنى ورد في سورة الإخلاص.
٤ ) ورد في سورة االواقعة في الآية ٧٩.

- فردوس: عفواً ليس هذا المقصود، ولكن يجب أن تكون طاهراً من الحدثين.
- إلياس: وما الحدثين؟
- فردوس: الحدث الأكبر وهو الجنابة (أي تكون قد اغتسلت بعد مجامعتك زوجتك، ومن الحدث الأصغر وهو البراز والبول[٥].
- إلياس: زيديني معرفة يا فردوس، وهل للاستحمام كيفية خاصة.
- فردوس: نعم .. ولكن أرجو أن يكون ذلك في بيتنا، وسيعلمك أخي طارق كيفية الطهارة والوضوء وسيشرح لك الآيات أثناء قراءتها، فبعض الآيات يحتاج إلى تفسير، ففي البيت لدينا تفسير للقرآن الكريم.
- إلياس: موافق.

وفي المساء طرق الباب وفتح طارق الباب فكان أمام الباب السيد إلياس فدخل سيد إلياس عند طارق فطلب سيد إلياس من طارق أن يعلمه الطهارة وأن يقرأ سورة مريم ففرح طارق وقال له:

- طارق: أتريد أن تدخل في ديننا الإسلامي.
- إلياس: لا ليس بعد ولكن أريد أن أفهم دينكم.
- طارق: نعم سأعطيك دروساً في الثقافة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي وسأجلب لك كتب تعليم الصلاة وأركان الإسلام وأحاديث عن الرسول وتفسير للآيات والسور القرآنية، وربما سأحضر لك إمام الجامع حتى يساعدني في ذلك.
- إلياس: لا .. لا ليس بعد سأطلع على بعض الكتب الإسلامية، فإذا اقتنعت سأدخل في دينكم الإسلامي، وسأطلب من شيخ الجامع أن يساعدني.

استحم إلياس في بيت طارق وعاد إلى المجلس وجلس على الكنبة وبجانبه طارق وفتح القرآن على سورة مريم ورتلها طارق بصوت جميل، أحس إلياس أن كتفيه تهتز وقلبه يرتجف كأن حبات من البرد سقطت في جوفه، وأحس بأنه يريد المزيد

---

٥ ) ورد المعنى في فقه السنة ج١، ص ٦٤-٦٧.

والمزيد من القراءة، وكأنه يتمنى أن لا ينتهي طارق من قراءة القرآن، وأخذ يقرأ بنفسه ثم قال لطارق

- إلياس: أتسمح لي بهذا القرآن لأطلع عليه في البيت.
- طارق: كما تشاء، فأخذ إلياس القرآن وعاد إلى بيته وجلس يفكر.
- أم جورج: دخلت عليه .. ألا تريد أن تنام يا أبو جورج.
- إلياس: نعم إنني أحس بنعاس شديد هيا لننام.

دخل إلياس تحت الغطاء بجانب زوجته أم جورج وهو يفكر بما سمعه اليوم من القرآن، وبعد أن نامت أم جورج انسحب شيئاً فشيئاً من تحت الغطاء دون أن تشعر به، وذهب إلى الغرفة الأخرى وأخذ يقلب صفحات القرآن ويقرأ، فقال: إن هذا الكتاب لم يترك صغير ة ولا كبيرة من شؤون الحياة إلا تطرق لها، إنه يحث على المحبة ونزع الكراهية ويدعو للعدل والخير والمساواة بين الناس "لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى"، ويحث على العلم والعمل والمحافظة على الروح البشرية، ويحرم الظلم والقتل ويحث على طاعة الوالدين والترابط الأسري وأنه يصلح لكل مكان وزمان.

وبعد أن اطلع على أكبر قدر من السور القرآنية، خبأ القرآن في إحدى الخزائن وأغلقها بالمفتاح ووضع المفتاح في جيب بنطاله، ثم نام مرتاح البال والضمير. استيقظ في الصباح وذهب إلى المخيطة فصادف فردوس عند الباب وهي تحمل بيدها كتاب.

- إلياس: ما هذا الكتاب.
- فردوس: إنه صحيح البخاري.
- إلياس: وما موضوع هذا الكتاب؟.
- فردوس: إنه يضم أحاديث صحيحة وردت عن سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم"
- إلياس: عندما تقرئينه، اعطني إياه حتى اطلع عليه.
- فردوس: لقد قرأته وأنا أحضرته لك كي تطلع عليه أرجو وان تقراه بسرعة حتى احضر لك كتاب آخر يتحدث عن صحابة رسول الله اسمه رجال حول الرسول بدا الياس يهتم بالكتب الإسلامية وفردوس تزوده بالكتب التي تتحدث عن الإسلام، وبدا هو أيضا كثير السؤال عن الدين الإسلامي

وتعاليمه، وفردوس تجيبه عما تعرف والسؤال الذي لا تعرف إجابته تقول له سأسأل لك أخي طارق عنه، وبدأت فردوس مهتمة بتعليم السيد الياس تعاليم الإسلام ومبادئه، واظهر السيد الياس محبته للإسلام وتعاليمه، أحست فردوس بالفرح لأنها استطاعت أن تجعل سيد الياس يحب الإسلام، واهتم بتعاليمه وكان يراودها أمل كبير أن يسلم على يديها فتنال أجر إسلامه.

كانت فردوس تهتم أيضا بأولاد الياس وزوجته المريضة، فكل يوم بعد أن ترجع من المخيطة تذهب لبيت السيد الياس وتطهو لهم الطعام وتغسل ملابسهم، وتساعد أم جورج في الاستحمام وتساعدها في تغيير ملابسها وإعطائها علاجها، وفي المرة الأخيرة تعبت أم جورج ونقلوها إلى المستشفى، فكانت تذهب إليها فردوس وتنظف جسدها وتطعمها بيدها فيقول لها: أبو جورج: والله لولا وجودك معنا ما كنا نعرف ماذا نعمل، لقد أتعبناك معنا يا فردوس.

- فردوس: لا...لا لا يا أبو جورج، إنني أعمل هذا حتى يكتب الله لي أجر عملي في الآخرة، فديننا يحث على التعاون ومساعدة الآخرين ويكتب لنا الأجر على كل عمل خير حتى ولو كانت كلمة طيبة، قال عليه السلام " الكلمة الطيبة صدقة ".
- الياس: حقا يا فردوس؟.
- فردوس: نعم.

بقيت أم جورج في المستشفى مدة طويلة وفردوس تعتني بأولادها وبيتها هي وأختها ميّ وأمها أم العبد. وذات يوم جاء أبو جورج كاسف البال حزين، وقال للعاملات أنتن مجازات لمدة ثلاثة أيام، سأغلق المصنع فقد توفيت أم جورج، فتقدمن العاملات إلى السيد الياس وعزينه بوفاة أم جورج زوجته، وكذلك فردوس قالت له : أرجو أن تكون قويا من اجل أبنائك يا أبو جورج، وكل إنسان له نهاية طال عمره أم قصر، فالموت حق على كل إنسان فنحن غير مخلدين وقد قال الله تعالى " كل من عليه فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " أرجو وان تهتم بعملك حتى توفر لأولادك حياة كريمة.

أما بالنسبة لأولادك فلا تهتم لذلك سأهتم أنا وأمي وأختي مي بهم، فلن ندعهم يشعرون بنقص أي شيء إن شاء الله. ارتاح الياس قليلا واطمأن على أولاده، أحب الأولاد عائلة أم العبد كما وأحبت عائلة أم العبد الأولاد وتعلقوا بهم، فهم يملؤون البيت حياة وحركة، فهذه أم العبد تحضنهم وتقبلهم وتحكي لهم الحكايات عن "الغولة و نص نصيص" وكيف قتل الغولة بالحيلة وحكايات الفئران الثلاثة وأمهم وغيرها من حكايات.

أما ميّ فكانت معلمتهم في البيت، فهي تساعدهم في حل واجباتهم المدرسية، أما فردوس فهي الأم الحنونة التي تطهو لهم الطعام وتغسل لهم الملابس وتسألهم عن أحوالهم وتحل مشكلاتهم وطارق العم الحنون. اندمجت العائلتان فمن يرهم لأول مرة يظن أنهم عائلة واحدة.

وذات ليلة سمعت أم العبد طرقا على الباب، فنادت طارق افتح الباب يا بني، فاستيقظ طارق وسار نحو الباب وهو يترنح من شدة النعاس وعندما فتح الباب وجد أخاه زهير.

- طارق: بصوت عالي وفرحة شديدة .. زهير أخي زهير متى عدت لما لم تتصل بنا لنستقبلك بالمطار.
- زهير: أحببت أن تكون عودتي مفاجئة، يحضن طارق أخاه ويعانقه عناقا طويلاً.
- أم العبد: تسمع صوت ابنها طارق .. فركضت هي وبناتها نحو الباب فدخل زهير من الباب وجرى نحو أمه وقبل يديها ورأسها وهو يحضنها بشوق عاشق، ثم حضن أخته فردوس وقبلها ثم عانق مي وجلست العائلة حول زهير، فأحس بدفء العائلة وشعر بدمه يتدفق بعروقه بقوة ودقات قلبه تزداد سرعتها وأحس كأنه يريد أن يطير فرحا، واعدت مي إبريقا من الشاي
- فردوس: هل أعد لك عشاءاً يا زهير؟
- زهير: لا يا أختي فقد تناولت وجبة العشاء في الطائرة.
- أم العبد: هيا أعد غرفة أخيك لينام، فهو متعب من السفر.

وفي الصباح استيقظ زهير على صوت إلياس وهو يطرق الباب وقد أحضر ابنتيه الصغيرتين كي تذهبان إلى المدرسة مع ميّ، ففتح طارق الباب ودخلت الطفلتان تركضان نحو فردوس،

ماما .. ماما صباح الخير. ثم جلسا في حضن أم العبد وهن يقبلانها قائلتان معاً: صباح الخير يا جدتي.

- زهير: يقف مذهولاً وهو ينظر إلى الطفلتان ماما .. جدة .. فردوس أنت .. أنت تزوجت بعد طلاقك من ابن عمي فرحان.
- فردوس: لا يا أخي، هاتان الطفلتان هن بنات السيد إلياس الذي أعمل عنده في المخيطة
- زهير: ولما تقولان لك ماما؟
- فردوس: لأن والدتهما توفيت، وأنا وأمي وميّ نعتني بهم جميعا.
- زهير: هكذا إذاً.

وذات يوم ذهبت فردوس إلى المخيطة وكانت تحمل كتاباً صغيرا بيدها وعندما وصلت إلى المخيطة وهي تحمل الكتاب الصغير بيدها وجدت السيد إلياس بانتظارها.

- إلياس: لقد انتظرتك منذ الصباح.
- فردوس: وهل تأخرت ؟ أنا آسفة.
- السيد إلياس: لا ... لا، وأحمرّ وجهه خجلاً، أنني .. أنني، ثم سكت.
- فردوس: ماذا لقد أفزعتني ؟ ماذا حصل.
- الياس: لا شيء أريد أن أفاتحك بموضوع.
- فردوس: موضوع! ما هو يا سيد أبو جورج تحدث، نظر إليها ثم أخفض عينيه إلى الأرض فردوس: قائلة بنفسها، إن أبا جورج غريب هذا اليوم، هذه النظرات لم أرها في عينيه قبل اليوم ما به! انتظرت حتى يحدثها ألا أنه سكت.
- فردوس: ماذا تريد أن تقول، لماذا أنت متردد كأنك تكلمني لأول مرة، ثم ضحكت وقالت والله تذكرني نظراتك وخجلك بالعاشق الذي لا يستطيع البوح بحبه لحبيبته.
- إلياس: وهو يضحك وقد أحس بأنها وضعت يدها على الجرح، والله لقد أرحتني يا فردوس هو ما أردت أن أقوله.
- فردوس: مندهشة ما أردت أن تقول، ولكن ما هو؟ أنت لم تقل شيئا.

- إليـاس: ينظـر إليهـا .. سـأقول واللـي يصـير، أنـا أحبـك يـا فردوس وأريد أن أتزوجك.
- فردوس: ولكن أنت مسيحي وأهلي لم يسمحوا لـي بـالزواج منك إلا أذا أسلمت.
- اليـاس: أن قضـية الإسـلام وأنـت تعـرفين رأي بهـا قبـل أن تموت زوجتـي، وتعرفين أننـي أطلعت علـى كثير من تعـاليم الإسـلام، وعلـى القرآن وعن القرآن وتفسيره وأنـا مقتنـع بـه وكل ذلك بفضلك وفضل أخيك طارق.
- فـردوس: أن يكـون لـي أجـر إسـلامك، فأنـا أسـعد أن شـاء الله، وسـأعلمك الصـلاة يـا سيد اليـاس، أمـا الخطبـة فـأنني أرى أن الأمر ما زال مبكراً، فقد أتى أخي من السفر وهو لا يعرفك، أرجـو أن تتقـرب منـه وتتعـرف بـه وبعـد ذلـك بفتـرة تتقـدم لخطبتي.
- الياس: معك حق ولكن أردت أن أعرف رأيك بي.
- فردوس: أنـت إنسـان أخلاقك عاليـة ولطيـف وأبنـاءك لطفـاء، فقد تعـودت عليكم جميعـا وأحببتكم يـا أبـا جـورج ولـيس لفتـاة مثلي أن ترفض رجلا مثلك، عادت فـردوس إلـى البيـت وهـي تكـاد تطيـر فرحـاً إلا أنهـا كتمـت سـرها وقالـت فـي نفسـها لـن أخبر أحد حتى يحب أخي زهير الياس ويتعرف عليه جيدا.

دخلـت فـردوس فوجـدت أهلهـا قـد أعـدوا حقـائبهم وهـم ينتظرون عودتها.

- فردوس: خيرا أن شاء الله أرى أنكم تستعدون للسفر.
- زهير: اشتقت للقريـة وأصـدقائي هنـاك فطلبـت أن نـذهب إلـى بيتنا هناك نقضي إجازة منتصف العام.
- فـردوس: ففرحـت وركضـت إلـى الـداخل وبـدلت ملابسـها وحملت حقيبتهـا ثـم ركبـوا السيـارة جميعـا، ثـم وقفـت .. بنـات السيد أبو جورج من يعتني بهم في غيابنا سآخذهما معنا.
- طارق: انتظري حتى أتصل بالسيد اليـاس وأستأذنه لنأخـذهما معنا إلـى القريـة، فأتصـل طـارق بإليـاس وطلـب منـه أن يأخـذ الطفلتان إلى القرية حيث سيذهب الجميع.
- إلياس: أنت عمهن وأنا مطمئن عليهن فمعهن ماما فردوس.
- طـارق: هيا يا فردوس ادخلـي البنـات وأدخلـي، كـم هـو إنسـان خلوق أبو جورج، والله كأنه واحد من العائلة.

- زهير: ألهذه الدرجة يا طارق.
- طارق: بل أكثر .. وعندما تتعرف عليه ستحبه كثيراً.

سارت بهم السيارة إلى القرية فعاد شريط ذكريات أما كل واحد منهم، فتذكروا ماضيهم حلوه ومره، وعندما نزلوا من السيارة ركضت ميّ إلى شجرة الزيتون أمام البيت تتأرجح عليها، فاحتضنتها بشوق الابنة لأمها وسارت فردوس دون أن تشعر ووقفت بجانب البرميل الذي كانت تنقع القش به، أما زهير فجلس على صخرة كبيرة أما البيت.

كان عندما يدرس يجلس عليها ساعات طوال، أما أم العبد فألقت بأغراضها واتجهت نحو الكرم وأخذت تتفقد شجيرات الزيتون والعنب وتقول هذه الشجرة عطشانة وهذه تحتاج إلى تنقيب، أما طارق فقد أخرج الأغراض من السيارة ودخل هو وفردوس والبنات إلى داخل المنزل فشهقت فردوس: طارق! أهذا بيتنا حقا ما هذه التطورات كل ألأثاث جديد أين ألأثاث القديم ضحك طارق وقال: لم أرمه بل وضعته في المخزن حتى لا تنسوا أصلكم وتتكبروا عن أهل قريتكم لأنكم سكنتم في عمان واشتريتم سيارات والذي ينسى سأضعه في المخزن مع الأثاث القديم، ضحك الجميع ودخلوا وهم معجبون في البيت والأثاث الجديد، نظرت فردوس من شباك البيت فرأت فرحان أما البيت، ينظر نحو بيت عمه ربما ليرى فردوس، أو أنه مندهش لتلك السيارة التي تقف أمام المنزل، لكن فردوس أحست بأن جرحها القديم عاد ينزف وهي التي ظنت أنه ألتئم فأغلقت الشباك وعادت إلى الداخل وهي تقول في نفسها، لا أريد أن أراه مرة أخرى فقد أختار حياة أخرى .

ودخل فرحان بيته وأغلق بابه وقال ربما قد تزوجت فقد رأيتها عندما نزلت من السيارة تقود طفلتان جميلتان، جاءت بعض نساء القرية وبعض رجالها يسلمون على عائلة أم العبد، وهن ينظرن إلى الأثاث الجديد والبيت ويتهامسن ما أجمل البيت وتلك تقول ما أجمل الأثاث وأخرى تقول: أنظري لقد تغيرت أم العبد وبناتها، أنظري كم لباسهن فاخر وثمين، فقالت أحدى النساء ربما وجدت أم العبد صندوقا من الذهب أثناء رعيها للأغنام والأبقار في رؤوس الجبال وباعوا الذهب في عمان فقالت لها امرأة: أتقي الله .. أولادها يعرفون كم تعبت وعانت حتى علمتهم أحسن علم، فابنها طارق محام ناجح وزهير لقد

عاد يحمل شهادة الطب من بريطانيا، ويقولون تم تعيينه في أحدى مستشفيات عمان، وفردوس يقولون خياطة ماهرة ومـيّ معلمة في عمان، ولا تنسي أنهم باعوا الأغنام والأبقار التي كانت عندهم في القرية، والتفتت إليهم أحدى النسوة قائلة: كفاكم قرّ وحسد لأم العبد أولادها حماهم الله من عيونكم قلن ما شاء الله.

نظرت إحداهن إلى فردوس وهي تحتضن طفلة جميلة والأخرى تقول ماما أريد أن أشرب، فضربت على وجهها قائلة: أظن أن فردوس قد تزوجت فهذه الطفلة تقول لها ماما. فقالت لها المرأة الأخرى: أصحي يبدو أنك جننت فردوس لم تغادر إلا منذ سنتين القرية وهذه الطفلة عمرها يمكن ست سنوات والله أعلم، فمتى تزوجت وحتى أنجبت. فقالت: لكن لما تقول لها ماما؟ ثم اقتربت من أم العبد أريد أن أسالك ولا أسالك عن ذنوبك، أم العبد: أسالي يا أختي ما تشائين. فقالت المرأة: لمن تلك الطفلتان الصغيرتان اللتان تلحقان فردوس وتناديهما ماما فردوس، أم العبد: أنهما ابنتا جارنا الياس وهو مسيحي وصاحب المخيطة التي تعمل بها فردوس، وقد توفيت أمهما منذ مدة قصيرة وهما متعلقتان بفردوس منذ وفاة والدتهما.

مالت أم العبد على أحدى جارتها وهي امرأة هادئة سمينة حنطية اللون، وقالت لها أم العبد: هل أنجبا أطفال؟ قالت المرأة: لا والله يا أم العبد لم تحمل بعد. وأم فرحان طوال النهار تزن عليها أنت لحقتي بفردوس يا عقيم. وتقول لها: والله غير "فردوس بنت أم العبد تشمت فينا". أم فرحان يا أختي لا أحد يتحملها، أم العبد قائلة: لا حول ولا قوة إلا بالله الله يعطيه الخلف الصالح وما يحرمه والله أنه يستاهل كل خير.

وزع زهير الحلوى على الرجال، ووزعت فردوس الحلوى على النساء، وقالت: هذه الحلوى بمناسبة تعين أخي زهير طبيب في المستشفى في عمان، وبعد ذلك عادت النسوة وبقيت أم العبد وأولادها. أم العبد: بسم الله حولكم وحواليكم يحميكم رب العالمين من الحسد والله النسوة أكلننا بعيونهن، ثم قامت وأحضرت جمرات في وعاء ثم رشت عليهن قليل من الملح والشبة والشعير وأخذت تقرأ المعوذات ثم دارت الوعاء حول

أبناءها وهي تقول رقيتكم من عين كل حاسد وحاسده والعين التي رأتكم ولم تصلي على النبي تنقلع، وطارق وزهير يكاد أن يغشى عليهم من شدة الضحك.

- أم العبد: لماذا تضحكون، أن الحسد مذكور في القرآن الكريم "ومن شر حاسد إذا حسد".
- طارق: يا أمي أن قراءة المعوذات ترد العين وليس هذا الجمر والملح والشعير.

نام الجميع بعد سهرة ممتعة ، إما في الصباح فقد استيقظ زهير ولبس ملابسه وذهب إلى بيت عمه سامي.

- زهير: ينادى فرحان ... فرحان، سمع فرحان صوت أبن عمه زهير ولم يصدق نفسه وفتح الباب فوجد زهير أمام الباب .
- فرحان: هيا ادخل ... دخل وأحتضن زهير أبن عمه فرحان وقبله.
- زهير: لم أرك ليلة أمس مع رجال القرية الذين قدموا إلى بيتنا، فجئت أسلم عليك فقد اشتقت إلى أحادثيك.
- فرحان: والله أنك أفضل مني، والله أنني خجل منك لأنني طلقت أختك فردوس.
- زهير: ولا يهمك يا رجل، نحن أبناء عمومة وأخوة والزواج قسمة ونصيب، ولكن طمئني هل أنجبت من زوجتك الجديدة.
- فرحان: وهو يطأطيء رأسه خجلاً، لا والله لم يرد الله بعد.
- زهير: لقد كانت دراستي عن العقم وعلاجه تعال أنت وزوجتك إلى مستشفى الجامعة هناك في عمان وسأفحصك أنت وزوجتك وأعطيكما العلاج اللازم، فلا تخجل مني يا رجل فأنا أبن عمك

ولا تظن أن المرأة هي التي لا تنجب فالرجل أيضاً يصاب بالضعف والعقم، تعال وإن شاء الله تكون الأسباب بسيطة وستجد لها علاجاً.

- فرحان: أن شاء الله يا زهير سآتي يوما ما إليك لتعالجني، شرب زهير القهوة في بيت عمه سامي ثم عاد إلى البيت.
- أم العبد: أين كنت يا زهير لقد استيقظت من نومي فلم أجدك.
- زهير: لقد ذهبت إلى أبن عمي فرحان.
- أم العبد: كيف استقبلك فرحان وأمه؟

- زهير: لقد سر فرحان بقدومي وطلبت منه أن يأتي إلى المستشفى الذي أعمل فيه حتى أعالجه.
- أم العبد: كثر الله خيرك يا ابني يا أصيل لم تنسى المعروف، إن فرحان لم يقصر معنا وقد ساعدني في تعليمكم، ولآن جاء دوركم كي تساعدوه وتردوا له بعض جميله.

قضت عائلة أم العبد إجازة ممتعة في القرية، وبعد انتهاء الإجازة حزموا أمتعتهم وركبوا السيارة ثم عادوا إلى عمان، فلما وصلوا وجدوا إلياس بانتظارهم .. ركضت سارة ومريم إلى والدهما السيد إلياس وأخذن يقبلنه بشوق شديد وهو يحضنهن ويقبلهن أيضاً بشوق شديد. أخذ أبو جورج يتردد على بيت أم العبد عندما يكون زهير موجوداً، فيتحاوران ويتناقشان حول قضايا إسلامية:

- زهير: أبو جورج أحس أنك مسلم.
- إلياس: نعم .. لقد جعلتني فردوس وطارق أحب الإسلام وعلماني تعاليمه وأركانه.
- زهير: لقد اندهشت عندما رأيتك قبل قليل تقرأ في كتاب يتحدث عن عذاب القبر وعن الجنة والنار، ولكن الآن زالت الدهشة بعدما عرفت أنك أسلمت.

مرت شهور بعد عودة زهير وأثبت زهير تفوقه في عمله في المستشفى، وأصبح له زبائن وانتشر صيته في معالجة الحالات الصعبة من العقم، ولكن فرحان لم يأت بعد إليه، ولكنه لم يقطع الأمل بمجيئه، وقال في نفسه سيأتي يوماً ما.

أحب إلياس فردوس حباً لم يعد يستغني عنها، فناداها ذات يوم وقال لها: إنني لم أعد أنا وأبنائي نستغني عنك فقد أصبحت جزءاً من العائلة، وأنني أرغب في التقدم لخطبتك فما رأيك! هل ستوافق إخوتك طارق وزهير؟ ضحكت فردوس وقالت: لا أضن أنهم سيرفضون شخصاً مثلك يا أبا جورج، لقد عشت معك منذ مدة وأنا لم ألاحظ في معاملتك سوء، ويكفي أنك أسلمت فمنحتني أجراً ورضا من رب العالمين. إذن انتظريني بعد صلاة العشاء، سآتي لخطبتك هذه الليلة فلم يعد عندي صبر، فتبسمت فردوس بخجل واحمرت وجنتاها وقالت أهلاً وسهلا يا أبا جورج.

دخلت عند الفتيات العاملات وهي شاردة الذهن ومضطربة وليس كعادتها، فقالت لها إحدى الفتيات: فردوس ما بك هل أنت عاشقة؟ لقد رأيتك أنت وأبا جورج وأنتما تتناجيان كأنكما زوج حمام، مررت من أمامكم وألقيت عليكما التحية فلم تشعران بوجودي، فقالت أخرى: حقاً "حقاً يا ما تحت السواهي دواهي" أتيت بعدنا وأخذته منا. وقالت أخرى: وهي فاغرة فاها بدهشة واستغراب إنه مسيحي وأنت مسلمة. وقالت أخرى: دائماً يقولون "الذي سبق أخذ الطبق" ونحن سبقناك لكن ما أخذنا شيء. وقالت أخرى: كله قسمة ونصيب وربما يكون هو نصيبها. وفردوس صامتة لا تجيب، وعندما انتهى الدوام عادت فردوس إلى بيتها وحدثت أمها وأخواتها طارق وزهير بما حصل من إلياس:

- أم العبد: والله إنه رجل غانم ومحترم وما فيه نقص ولكن ...
- زهير: ولكن ماذا يا أمي؟ أكملي .. ما الذي تريدين قوله؟
- أم العبد: والله إني خايفة من أعمامك يعملوا لنا مشكلة، الله يجيب الذي فيه الخير، أي والله ما صدقت حتى أختك نسيت فرحان وعادت لها البسمة.

أنظر ما شاء الله عليها أصبحت شخصية والله مثل الستات اللواتي تراهن في التلفزيون .. جمال، وفهم، وثقافة وأناقة، وغير هذا أصبحت اجتماعية ومحبوبة، والله الدار ما تفضى الكل يسأل عن فردوس، وغير هذا الله يعطيها طفل يسليها ويملأ حياتها، أما زهير فرد على أمه من ناحية أعمامي سيرفضون لأن لديهم حجة أنه مسيحي، ولكن ولا يهمك يا أمي سأقنعهم بكل السبل ومهما كلّف الأمر حتى أرى البسمة على وجه أختي فردوس، فقد تعبت وعانت كثيراً من أجلنا ويجب أن ترتاح وتعيش حياتها الخاصة قبل أن نتزوج نحن وتكون لنا حياتنا الخاصة، يجب أن أطمئن عليها أولاً.

أم العبد: يمكن حاط عينك على صبية .. واقع في الحب.

زهير: والله يمكن يا أم الدكتور.

أم العبد: ومن أين هي من المدينة؟ أم من القرية؟.

زهير: ليست من عمان ولا من قريتنا، إنها طبيبة تعمل معي في المستشفى اسمها (رنا) من الكرك أحببتها يا أمي من اللحظة الأولى.

أم العبد: لا بد أنها جميلة جداً حتى أوقعتك بهذه السرعة .. هل هي شقراء.

زهير: لقد مللت من الشقراوات في بريطانيا، إنها فتاة سمراء نحيلة خفيفة الروح والظل طبيعية ليس عليها أصباغ ولا ألوان، مثقفة واعية.

أم العبد: الله ينولك الذي في بالك يا ابني، ولكن كيف ستتزوج قبل طارق وهو الكبير.

زهير: هو يجد العروسة التي يحب وسأخطبها له وتكاليف العرس على حسابي الخاص، فضحكت أم العبد وقالت الله يحفظكم يا أبنائي ويلقي المحبة والرحمة في قلوبكم وليبعد عنكم أعين الحاسدين.

حضن زهير أمه وقبل رأسها وقال ولا يهمك يا أمي سأذهب إلى القرية غداً وأخبر أعمامي وأرى رأيهم، جاء المساء وصلى الجميع العشاء وجلسوا ينتظرون قدوم أبو جورج وأقرباءه، دق الباب ففتح زهير الباب فدخل إلياس وأبناءه، فدهش زهير ونظر خلف الباب علّه يرى أحداً من أقربائه، ولكنه فوجئ بأن أبا جورج جاء لوحده ولم يكن معه أحد من عشيرته.

جلس الجميع ونظر في وجوه بعضهم البعض:

أم العبد: متى سيصل أقربائك يا أبا جورج.

إلياس: إنهم لم يأتوا يا أم العبد، فهم قاطعوني وتبرؤوا مني عندما أخبرتهم بأنني أسلمت وبأنني سأتزوج مسلمة.

أم العبد: أدركت الموقف .. لا يهم، لا يهم يا ابني نحن جميعاً أهلك وسنعمل لك حفلة ما حصلت.

إلياس: بفرح شديد يعني أنتم موافقون يا أم العبد.

طارق: ولم لا نوافق وقد شرفتنا بدخولك الإسلام فنحن وجميع المسلمين منذ اليوم أهلك وعشيرتك.

إلياس: إذاً ما هي شروطكم وطلباتكم، ومتى كتب الكتاب؟

طارق: لا شروط لنا ولا طلبات .. تلك عروسك ما يرضيها يرضينا وأظن أن أختي فردوس قنوعة فلن تكلفك شيئاً.

إلياس: لا والله .. تطلب الذي تريده فإنني لن أخذلها أبداً وسألبي لها جميع طلباتها ورغباتها.

أم العبد: تنظر إلى ابنتها .. الله يهنيكم يا ابنتي.

إلياس: السؤال مرة أخرى متى نستطيع كتب الكتاب.

طارق: أمامنا مشورة أعمامنا في القرية غداً، سأذهب إلى هناك وأخبرهم بالموضوع.

عاد إلياس هو وأولاده إلى بيته يحمل في قلبه أملاً كبيراً بأن تأتي فردوس إلى بيته لتكون سيدته وسيدة قلبه الذي تعلو دقاته كلما رآها داخلة وخارجة وتكون الأم الصالحة لأبناءه. نام إلياس هادئ البال هانئاً، فغط في سبات عميق وكذلك فردوس فرحت بخطبتها للسيد إلياس، وظنت أن الأمور سهلة وأن كل شيء سيسير بيسر وسهولة، فنامت وهي تمني نفسها بأن تكون أم هؤلاء الأطفال اليتامى وتقول في نفسها لقد عوضني الله بزوج محب وعائلة أبناء وبنات، غطت في سبات عميق.

وجاء الفجر واستيقظ الجميع ولبس طارق وزهير ملابسهما وتناولا فطورهما وركبا سيارتهما وتوجها إلى القرية وقصدا بيت عمهما سامي، فأوقفوا سيارتهما أمام البيت وترجلا من السيارة وطرقا الباب، ففتح فرحان الباب وقال تفضلا .. تفضلا يا أبناء عمي ونادى أباه قائلاً أبي .. أبي هؤلاء أبناء عمي زهير وطارق يريدان أن يسلما عليك، تعال يا أبي.

سار سامي بخطى متثاقلة والغيرة تأكل قلبه عندما رأى سيارتان جميلتان تقفان أمام البيت وقال في نفسه: ول .. ول أولاد أم العبد العمشا صاروا أطباء ومحامين ومعهم سيارات جميلة ويسكنون في العاصمة عمان، وهي أرملة وفقيرة وأنا أولادي .. إخس عليهم، كلهم فاشلين ولا واحد منهم فلح بالدراسة، هوّ فرحان الذي أتم الإعدادية وأنا والله ما نقصّت عليهم شيء والدنانير معهم مثل الرز، يا الله هذا كله بإرادتك والمثل يقول " الذي ما له أب له رب".

دخل سامي وسلّم على أبناء أخيه طارق وزهير وجلس وصب لهم القهوة السادة ثم قال لهم: خيراً إن شاء الله ما أتى بكم إلا الشديد القوي:

طارق: أنتم على البال يا عمي دائماً، ولكن ليس لدينا وقت فالعمل يأخذ كل وقتنا.

أبو فرحان: ما هو شيء مبين أنكم تعملون ليلاً ونهاراً من هذه السيارات الفخمة والبدلات الراقية، هذه العاصمة هكذا يكون من يسكنها.

زهير: يضحك .. يا عمي الذي تغير هو المظهر فقط ولكن حبنا لكم وللقرية كما هو فأنتم أعزاء علينا.

أبو فرحان: هات من الآخر، ما الذي أتى بكم وتركنا من المجاملات.

طارق: لقد جئنا نخبرك بأن أختي فردوس قد أتاها عريس ونريد منك أن تخبر العشيرة، لأن الخطبة والعرس سيكونان في القرية.

أبو فرحان: عريس .. الله ريته مبروك، ولكن هل قلتم له أنها عقيم، فإذا عرف بكرة يرجعها لكم ويدفعكم كومة "مصاري" نقود.

زهير: هو عنده بنات وأولاد وليس بحاجة للأولاد، وإنما يريد أختي فردوس زوجة له وشريكة حياة.

أبو فرحان: يهز رأسه، يعني "ختيار" وعنده زوجة أخرى يعني ستصبح ضرة.

طارق: لا يا عمي إن زوجته متوفية وهو ليس عجوز وإنما في مثل سن فرحان.

أبو فرحان: ومن يكون حضرة العريس المحترم؟

زهير: إنه جارنا إلياس أبو جورج.

أبو فرحان: يبحلق عينيه ويشهق .. هل جننت؟ ما ظل إلا تزوجها لمسيحي، هل الرجال عند المسلمين انقطعوا، والله المدينة لحست لكم عقولكم يا أولاد أم العبد العمشا، هكذا العادات والتقاليد.

طارق: يا عمي يا أبو فرحان لقد أسلم وسينالنا أجر إسلامه، وما هذه العادات والتقاليد التي تقيدون بها أنفسكم.

أبو فرحان: تعيّب على عاداتنا وتقاليدنا.

طارق: لا يا عمي، ولكن نأخذ منها الجيد الذي يتلائم مع عصرنا ونترك السيئ.

وأثناء ذلك دخلت أم فرحان عائدة من الكرم ففوجئت بوجود زهير وطارق وقالت في نفسها: ماذا أتى بهؤلاء من العاصمة أولاد أم العبد العمشا التي أصبحت مدنية ولابسة الذهب والحرير بعدما كانت طول النهار تنكش بالأرض وتحلب البقر وتجمع القش، والله أتشقلبت الدنيا وأم العبد شافت حالها علينا. آه

هؤلاء أتوا يعرضون سياراتهم وملابسهم ويتفاخروا علينا وليس محبة لنا.
أم فرحان: تدخل .. سلام عليكم، والله كيف صارت وجينا على بالكم.
زهير: أنتم على البال دائماً يا زوجة عمي.
أم فرحان: وكيف أم العبد إن شاء الله تعودت على المدينة ونسيت البقر والزيتون وأطباق القش.
طارق: اطمئني يا أم فرحان، لم تنسَ ولن تنسَ تلك الأيام فهي التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه
أبو فرحان: باستهزاء .. أختهم جاء لها عريس .. وعريس مسيحي واسمه أبو جورج.
أم فرحان: تشهق .. ول .. ول مسيحي، "يا عيب الشوم" هو ما في رجال، أي هي لو لقيت رجال تشكمها ما حبت مسيحي لكن، ما إلها رجال ولا حاسبة حساب لأقاربها ورجالها، هي سكنت المدينة وظل فيها خير أكيد طالقيتها على حل شعرها.
زهير: نحن لم نأت إلى هنا كي نسمع الشتم والسب والاستهزاء، نحن قدرناكم وجئنا نشرككم في أفراحنا، وإلا نحن رجال نستطيع تزويجها لوحدنا.
أبو فرحان: والله وكبرت وصار لك لسان ترد فيه على كبار العشيرة، اجلس ولا تتحرك من مكانك وسترى كلام من هو الذي سينفذ، وإذا كانت أختك ليس من حقك أن تزوجها بدون رأينا، انتظر حتى أبعث وراء رجال العشيرة، التفت نحو ابنه فرحان وقال: يا ولد اذهب ونادي كبار العشيرة، فذهب فرحان وأتى بهم فجلسوا وتشاورا وكانوا في أخذ ورد وعادوا إلى زهير وطارق بالرد الأكيد، لن تتزوج بنات عشيرتنا من رجل مسيحي وأن زوجتوها دون رضانا سنختار مجموعة من شباب العشيرة ليقتلوها، ها أنتم أخذتم الرد هيا اركبوا سياراتكم وانصرفوا.
خرج طارق وزهير وهما يشعران بخيبة الأمل، ولكن لحق بهم مختار العشيرة أبو خريوش. وقال: اسمعوا يا أولاد هاتوا فردوس عندي حتى تنسى المسيحي آكل الخنازير، وسنختار لها عريس من القرية إذا في واحد يقبل الزواج بها لأنها عقيم، وإذا لم تأتوا بها سأرسل رجال من العشيرة يحضروها رغماً عنكم،

وإذا حدثتكم أنفسكم بإخبار الشرطة لا تلوموا إلا أنفسكم، سيحرق بيتكم في القرية وكرمكم، هذا إذا لم نرسل من يقتلها في بيتكم.

خاف زهير وطارق على أختهم كثيراً وأحسوا بأنهم لا يستطيعون إنقاذها من هذا الكم من الجهل، وساروا بسياراتهم شاردي الذهن يفكران بإيجاد حل، ولكن دون جدوى ولا مناص من تنفيذ طلب المختار. وصل زهير وطارق ودخلا البيت والضيق باد على وجوههم وشعروا بخجل شديد من أختهم وأمهم، كيف سينقلان لهما الخبر؟ وكيف سيكون وقعه على فردوس؟ يا الله كم الموقف صعب!.

نظرت أم العبد إلى أبنائها بدهشة وذهول، ما بكم؟ ماذا حصل؟ هل مات أحد في القرية ؟

زهير: لا يا أمي ولكن دعينا نرتاح نحن متعبان من طول الطريق .

جلس زهير وطارق وطلبا من فردوس أن تعد لهم طعام الغذاء، دخلت فردوس المطبخ وهي مرتبكة شاردت الذهن تسأل في نفسها ماذا حصل؟ لماذا لم يتناولون الطعام الغذاء في القرية ربما رفض أقاربي العريس ولكن لماذا وقد أسلم واخذت الأفكار تتدافق على رأسها ولم تصحو إلا على صوت أمها وهي تنادي أنني أشم رائحة إحتراق الطعام فأطفأت الغاز وأحضرت الطعام لأخوتها وبعد أن تناولوا الطعام وشربوا الشاي قال زهير: أنا ذاهب إلى المستشفى وطارق سيشرح لكم الموضوع .

طارق: أختي ستذهبين غدا إلى بيت المختار إلى أن نتوصل إلى حل مع عشيرتنا في القرية أنهم يرفضون زواجك من الياس ولكن أرجو أن تطمأني يا أختي فأنا أوعدك بأن أقنعهم وسأظل أبحث عن حل وسأزوجك من الياس مهما كلف الأمر.

فردوس: وكم سأبقى عند المختار يا أخي.

طارق: لا أعلم ربما يوم أو يومان أو أسبوع لا أعلم ولكن أطمئني وحضري نفسك وملابسك غدا سأرسلك إلى القرية.

فردوس: حاضر يا أخي ولكن الياس هل أخبره.

طارق: سأشرح الموضوع له وأخبره أن المسألة ليست إلا مسألة وقت .

في الصباح أعدت فردوس حقيبة ملابسها وأعطت مغلفا أخوها طارق وقالت أرجوك أن تشرح له الموضوع أعطيه هذه الرسالة .

طارق: اطمئني يا أختي

صعدت فردوس السيارة في وأرسلها طارق إلى القرية وقال للمختار هذه أختي فردوس في ضيافتكم يا مختار ونحن لن نخرج على عرف العشيرة و تقاليدها ولكن أرجو أن تحسنوا ضيافتها.

المختار: طول عمرك عاقل يا طارق وإن شاء الله ما تقصر في ضيافة أختك، ترك طارق فردوس خلفه عند المختار فأحس بألم شديد في أحشائه ولكنه كان يفكر في إيجاد حل وحل سريع، نظرت فردوس خلف السيارة بألم كيف سيمر الغد دون أن ترى تلك الأزهار التي زرعتها بيديها وتفتحت وكيف سيمر يوما دون أن ترى الياس أمام عينيها حبيب قلبها ، وأبنائه الصغار الذين يجلبون لها الفرح والحياة كيف؟ كيف؟ ولكنها تعزي نفسها بأن الفرج قريب كما وعدها طارق، وصل طارق إلى البيت فوجد الياس في بيتهم يشرب الشاي فجلس معه.

طارق: سأشرح لك ما حصل يا أبا جورج وأعدك بان تنتهي هذه المشكلة على خير ولن تكون فردوس لغيرك ثم مد يده إلى جيبه وأخرج مغلفا وأعطاه للسيد الياس وقال هذا من فردوس فوضعه في جيب قميصه قرب قلبه وكأنه يحس بقلبه يعانق رسالة فردوس ودقات قلبه تنبض وتنبض فرحا بهذه الرسالة ماذا يا ترى كتبت لي فردوس؟

شرب كأس الشاي بسرعة حتى أنها لدغت لسانه وقام مسرعا إلى بيته وأغلق بابه على نفسه وبدأ يقرأ :

حبيبي الياس

أنت الذي لملم جروح قلبي ورتق فتقه فأنت الغيمة البيضاء التي رشقني بحبات بردها، فأطفأت ظمأ روحي وأثلجت لهيب صدري، وأنت الذي حول صحرائي القاحلة قطعة من الفردوس تفتحت أزهارها بكل ألوانها المبهجة للنفس وأنت سمائي الصافية التي أظلتني من حر لهيب شمسها أنت من كشف عن قلبي غشاوة الطفولة الذي حاكته تقاليد القرية القاسية وجعلتني أحس بالحرية، لقد أخذني حبك إلى آفاق واسعة وبعيدة وجعلني أسبح في مياه طاهرة رقراقة كأنها مياه الكوثر تشعرني بروحك

الشفافة كقمر هادئ منير مطمئن، لقد سمعنا دقات قلوبنا وشاهدنا تعـانق دياناتنـا فـأطمئن يـا حبيبـي لـن أسـمح لأحـد أن يفسـد هـذا العناق وسكت تلك الدقات ، لن أكون إلا لك.
حبيبتك المخلصة

فردوس

قرأ إلياس الرسالة مرات ومرات وهو يضمها إلى صدره كأنما يضم فردوس ويقبل الكلمات وهو يشعر بأنه يقبل الأنامل التي كتبت تلك الكلمات ودموعه تتساقط بغزارة المطر ونام على وسادته دون أن يشعر، وعندما استيقظ وجد الرسالة على صدره فأخذ يعيد قراءتها، ثم تناول ورقة وقلم وكتب إلى فردوس رسالة يطمئنها بأنه لن يتخلى عنها فكتب:
حبيبتي فردوس:
وصلتني رسالتك التي أثلجت صدري وروحي الملتهبة شوقاً إليك وحرقة من الفراق فأشعرني برطوبة الحرير الناعم على الجسم الملتهب من حرارة الصيف، فكانت أمواج بحر غسلت هموم قلبي بزبدها، فاطمئن قلبي طمأنينة طفل في حضن أمه وصهرت عن عن جسدي قالب شموع العادات والتقاليد وحررتني من قيود التبعية والثبات في نقطة الصفر ومركز الدائرة، وجعلت روحي تحلق في الآفاق العالية وقدماي تسيران على الأرض بخطى منتظمة وتوازن.
لقد كنت وما زلت النبع الذي أروى عطش روحي قبل أن أشربه، فكنت الماء الحقيقي لا السراب اللامع الخدّاع، فقد أنقذتني من ظلمات الروح إلى نورها المضيء وجعلتني أجد ذاتي وأقترب من خالقها، وأنني أعدك أن أبذل قصارى جهدي أن لا يطول الفراق، فلا تيأسي يا ريحانة روحي فالذي جمعنا لن يفرقنا وسيتم زواجنا إن شاء الله قريب، فعندما تدق القلوب على ذكر الله وتتعانق الديانات على وحدانية الله لا أحد يستطيع أن يفرقها واسلمي لمن أحبك بإخلاص
إلياس أبو جورج

حمل هذه الرسالة وأعطاها لزهير قائلاً عندما تذهب إلى فردوس أعطها هذه الرسالة فسأذهب أنا وطارق إلى مفتي المملكة وإلى دكتور الشريعة الإسلامية في الجامعة الدكتور

أحمد وأيضاً سنذهب إلى نائب منطقة عجلون ونائب منطقتنا وسنحدد وقت لنجتمع فيه ونذهب إلى عشيرتكم، ارجو ان تخبر عمك والمختار بذلك .

حمل زهير الرسالة إلى أخته في القرية واخبر عمه والمختار بقدوم جاهه مكونه من مفتي المملكة ودكتور الشريعة الإسلامية في ألجامعه ونائبي منطقة عجلون وعمان، فقال المختار والله هالمسيحي ما هو هين لوا ذراعنا. وادعت فردوس أخاها زهير وعيناها ممتلئة دموعاً، وبعد أن غادر بيت المختار أمسكت الرسالة وأخذت تقرئها وتبكي وتقبلها ، ثم تدعوا الله أن لا يطول الفراق.

وصل زهير البيت فوجد طارق والياس في البيت فسألهم ها ... خير .. بشروا إن شاء الله أخذتم موعد مع الجماعة، فضحك الياس حتى بانت نواجذه من شدة فرحه، وقال: نعم .. لقد وافقوا وموعد اللقاء هو يوم الجمعة في القرية. انتظر الجميع يوم الجمعة بفارغ الصبر ودقت ساعة الصفر وتجمع الجميع أمام البيت وسار الموكب من عمان إلى القرية في محافظة عجلون، وهناك استقبل رجال القرية الجاهة الكريمة بكل كرم وترحاب وذبحت الذبائح للضيوف وأعدت نساء القرية الطعام وقدمت القهوة للجاهة الكريمة فلم يشربوا القهوة.

مفتي المملكة: لن نشرب قهوتكم حتى تعطونا طلبنا.

المختار: إبشروا ... إن قدرنا عليه.

دكتور الشريعة: نعم تقدرون عليه، نحن نريد قربكم بإبنتكم فردوس للسيد الياس.

أبو فرحان: أنت يا أستاذ الشريعة تخطب ابنة أخي لمسيحي يأكل الخنازير.

أستاذ الشريعة أحمد: نعم لأنه لم يعد مسيحي وهو مسلم وقد أعلن إسلامه في الجامع وها هو يعلنه أمامكم.

الياس: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله" وإنه يشرفني أن أكون مسلم وزوجتي وأبنائي مسلمين يتربون على الدين الإسلامي الذي أفتخر به.

مفتي المملكة: إن زوجتموه وساعدتموه على الإسلام وجعلتم إبنتكم تربي أبناءه على الدين الإسلامي، سينالكم أجر إسلامه وربما سيقنع آخرين غيره ليدخلوا الإسلام.

أبو فرحان: والله يا جماعة أنتم لستم وجه فشل ولن أردكم خائبين، مبروكة عليكم ابنة أخي فردوس، وهؤلاء إخوتها رجال ما شاء الله عليهم يشترطوا كيف ما يشاءون.

زهير وطارق: ليس لنا شروط فأبو جورج هو أحد أفراد أسرتنا منذ اليوم، له ما لنا وعليه ما علينا وأبناءه أمانه في أعناقنا.

زغردت النساء ووضعت المناسف وتناول الجميع طعام الغداء، ففرحت فردوس فرحة لم تذق طعمها من قبل، لقد أحست أنها ولدت من جديد، ثم أحضروا المأذون وكتبوا كتاب فردوس والياس وتجمعت نساء القرية وأطفالها ورجالها يزغردن ويقيمون ويدبكون الدبكات الشعبية وصوت الناي يصدح، فكان عرساً مميزاً وزفت فردوس والياس إلى بيتهما في عمان، ففرح الجميع.

بقي أولاد الياس عند أم العبد وذهب الياس وفردوس في شهر عسل إلى لبنان، فقضت فردوس أجمل أيام عمرها على شواطئ بيروت وبين أسواقها تشتري ما يحلو لها من ملابس وعطور وهدايا لأمها وإخوتها وأبناء السيد الياس، وبعد قضاء أيام جميلة لم تكن تحلم بها عادت إلى عمان محملة بالهدايا والملابس الجميلة ووصلت إلى بيت أمها وعلامات الفرحة والسعادة بادية على محياها الجميل، ودخل الياس والفرح باد على وجهه وأخذوا يوزعون الهدايا وفردوس تحتضن مريم وسارة وتقبلهما بحرارة وكذلك حضنت جورج وعيسى وقبلتهما.

أعدت ميّ وأم العبد عشاءاً فاخراً لصهرهم الجديد وابنتهم فردوس ومرت الأيام والكل سعيد ومسرور، وبعد مرور أسبوع على عودة الياس وفردوس من لبنان عرف أقارب الياس بقصة إسلامه وزواجه من ابنه جورج، حيث سألوا جورج في المدرسة أين أبيك، فأخبرهم بأنه في بيروت مع زوجته الجديدة وهي مسلمة، فجن جنونهم وغضبوا وتجمعوا، وعندما عاد الياس أتوا إلى بيته وأكدوا له بقطع علاقاتهم به وذهبوا.

تألم الياس وحزن فقامت فردوس إلى الياس تآنسه وتواسيه، وقالت نحن عائلتك وكل مسلم هو أخوك وقريبك والزمن كفيل

بأن يجعلهم ينسون وربما يدخل بعضهم في ديننا، يجب أن لا تعاديهم فأنا أطمع أن يؤمن منهم الكثير، فهدأ الياس وحضن فردوس وقبلها قائلاً لقد أنقذتني من عذاب النار إن شاء الله فقد عرفت خالقي بفضلك وأرجو أن تعلمي أبنائي وبناتي تعاليم الدين الإسلامي، فأخذت فردوس ترعاهم رعاية إسلامية وألبست البنات غطاءاً على رؤوسهن، ومرت شهور وفردوس بطنها تكبر وتتكور والسعادة تغمر فردوس وزوجها وبيتهم، وكذلك كان الأولاد سعداء فكلهم يناديها ماما فردوس، إلى أن جاء الشهر التاسع وظهر التعب على فردوس واقترب موعد الولادة، وأعدت فردوس ملابس الطفل وهي سعيدة بها تضعها في الحقيبة ثم تخرجها وتنظر إليها وهي تحدث نفسها معقول سأصبح أم، ثم تتحسس بطنها فتشعر بحركات جنينها فتزداد سعادة.

يأتي الياس فتناديه تعال وضع يدك هنا، هل تشعر بحركات الطفل؟ فيضحك الياس ويقول الحمد لله الذي جعلك أماً، كم أنا مسرور لأجلك يا فردوس، وبينما هما كذلك إذ رن الهاتف فردت فردوس على التلفون، فكان صوت أختها ميّ تدعوها لحضور خطبتها هي وزهير معاً، فردوس: ومن سعيد الحظ الذي سيخطبك؟

ميّ: إنه الدكتور جابر أخو الدكتورة ميس التي سيخطبها زهير.

فردوس: بفرح وسرور .. مبروك يا ميّ وإن شاء الله سآتي غداً أنا وأبنائي وزوجي.

أقفلت سماعة التلفون وذهبت إلى المطبخ وأعدت العشاء وجلس الجميع حول المائدة وهم مسرورين، ثم بعد ذلك قام الجميع لمتابعة مسلسل السهرة، وبعد انتهاء المسلسل ذهب كل واحد إلى فراشه وناموا نوماً عميقاً، وفي الصباح استعدت فردوس استعدت فردوس وأولادها وزوجها لحضور حفلة الخطوبة، ثم ذهبوا إلى بيت أم العبد وهناك بدأت فردوس بالزغاريد والغناء وبدأ الجميع مسروراً والغناء والزغاريد وصوت الطبل، وبينما هم كذلك إذا صرخت فردوس صرخة أدهشت الجميع، فركضت إليها أمها:

أم العبد: ما بك يا ابنتي؟

فردوس: أشعر بألم في لأسفل بطني وظهري.
أم العبد: لا تخافي يا ابنتي. فنادت أم العبد طارق والياس وحملوها إلى المستشفى، فوضعت بعد معاناة وألم مولوداً ذكراً وأخذته أم العبد ووضعته في حضن فردوس .. إنه يشبه أخاك عبد الرحمن الذي توفي وعمره خمسة عشر عاماً بلدغة أفعى سامة، وناولته لفردوس بلهفة الظمآن في صحراء لاهبة وقبلته واحتضنته كمن يحتضن كنزاً ثمين.
أم العبد: تنظر إلى ابنتها والفرح باد على وجهها .. بارك الله لك يا ابنتي، نصبر ونتحمل الألم ونعطى بكل كرم لفلذة أكبادنا حتى يكونوا سعداء، فانظري إلى الأرض كيف تحتضن البذرة بكل حنان وحرص، فتشق البذرة سطحها بكل قوة وترسخ جذورها في أحشاء الأرض لتمتص غذاءها وماءها فينمو ساقها وتكبر أغصانها وتكتسو بالأوراق والأزهار الجميلة والثمار اللذيذة، وتتمايل مع الريح متباهية بجمالها ونحن نبذل كل ما نستطيع من صحة ومال وجهد حتى نؤمن لهم الحياة الكريمة ونسعد عندما نراهم سعداء، ونظل نعطي حتى يجف ماء الحياة في عروقنا ونتساقط كأوراق الشجر في الخريف.
وأخذ الياس ابنه من أحضان زوجته وقبله وكأنه لم ينجب طفلاً من قبله، فقد كان مسروراً به جداً وقال: لا تندهشي يا فردوس لسعادتي في قدوم هذا الطفل، فكل طفل من أبنائي لقدومه لهفة وسعادة لا توصف وكأنه أول أبنائي. دخل الطبيب إلى الغرفة وقال ستبقى فردوس وطفلها هذه الليلة هنا في المستشفى وغداً نكتب لها خروج، ولآن قد طمأنتكم على فردوس وبإمكانكم الذهاب إلى بيتكم.
عاد الياس وأم العبد إلى العرس:
الجميع: كيف فردوس؟ وماذا أنجبت؟
أم العبد: بكل سعادة وفرحة.. أنجبت ولد، ولقد أسماه أباه "إسلام".
الجميع: اللهم اجعله مبروكاً.
أم فرحان: بامتعاض .. وهي تقول في نفسها والله ما كنت مصدّق كنّت أظن انه حبل كاذب، والله وأصبحت أم يا فردوس، إلا ابني .. يا حسرتي ما صار أب.

ذهب الجميع إلى بيوتهم وعاد أهل القرية إلى بيوتهم وهم مسرورون، ولكن أم فرحان آثرت البقاء في عمان.

أم فرحان: لن أعود اليوم وسأنام هنا عند أم العبد وغدا سأعود إلى القرية لأنني سأشتري بعض الحاجيات من عمان وأريد أن اطمئن على فردوس عند عودتها من المستشفى إلى البيت.

قام الجميع وهم يشعرون بالسعادة والهناء، وفي الصباح ذهب الياس إلى المستشفى واحضر زوجته.

أم فرحان: تنظر إلى الطفل .. وقالت في نفسها معها طفل حقيقي أنها لم تكن عقيم ويبدوا انه ابني الذي كان عقيم، والله ظلمناها، ثم تقدمت من فردوس وقبلتها وقالت لها مبروك يا ابنتي ظلمناك .. سامحيني يا ابنتي.

فردوس: الله يسامحك يا زوجة عمي ولكن لي رجاء عندك وهو أن تقنعي فرحان أن يأتي إلى أخي زهير، عسى الله أن يعوض عليه بولد يحمل اسمه ويساعده في كبره.

أم فرحان: إن شاء الله يا ابنتي سأحاول، وإذا له نصيب في الأولاد سيعطيه الله، وان لم يشاء الله فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم حزمت أم فرحان أمتعتها وعادت إلى القرية وهي تتمنى أن يرزق الله فرحان بطفل ذكرا كان أم أنثى، يسعده ويملأ عليه البيت، وصلت أم فرحان البيت وحدثت فرحان وزوجته عن ولادة فردوس مولوداً ذكرا، وطلبت من فرحان أن يذهب إلى زهير في المستشفى كي يعالجه، إلا انه:

فرحان: أنا رجل وليس لدي مشكلة أنها زوجتي التي لا تنجب.

أم فرحان: قد قلت لنا إن فردوس لا تنجب فها هي قد أنجبت.

فرحان: ربما عالجها أخوها.

أم فرحان: اذهب أنت وزوجتك إلى زهير ودعه يفحصكما ويعالج من به عيب.

فرحان: لا لن اذهب خذي زوجتي واذهبي بها إلى زهير في عمان.

سعاد زوجة فرحان: لن اذهب إلي عمان إلا وأنت معي وان لم تذهب معي سأعود إلى بيت أهلي أنا أيضاً أريد أن أكون أما، وسأطلب الطلاق منك وأتزوج من غيرك.

فرحان: يمسك بشعر سعاد ويجرها على أرض البيت، وهو يضربها ويسبها ويقول لها لقد أصبح لسانك طويل سأقصه لك.

أم فرحان: أدركت خطؤها السابق وأمسكت بابنها وأبعدته عن زوجته .. إن زوجتك معها حق كفاية عناد يا ابني واخزي الشيطان ولا تضيع عمرك أكثر ما ضاع، غداً ستذهب أنت وزوجتك إلى عمان، هيا قم صالح زوجتك. فالطب تقدم وما تدري ماذا يخبئ لك القدر، عسى الله يجعل الشفاء على يده، فهو ابن عمك من لحمك ودمك ويريد لك الخير، ولا تنسى فإن لك عليه فضلا، فقد ساهمت في تعليمه في بريطانيا، ولولاك لما حصل على هذه الشهادة عسى الله ينفعك بها.

فرحان: طأطأ رأسه .. ربما يا أمي ربما. ثم ذهب إلى زوجته واعتذر لها وقبل جبينها وفي صباح اليوم التالي ذهب فرحان وزوجته إلى عمان وهناك في المستشفى استقبلهم زهير أفضل استقبال وفحص كليهما.

زهير: إن زوجتك سعاد لا يلزمها علاج، ولكن يوجد عندك ضعف بسيط في الحيوانات المنوية، سأعطيك علاجاً مقوياً لمدة ثلاث شهور، وسيتم الحمل بعدها أكيد إن شاء الله.

فرحان: يفرح فرحاً كبيراً .. وأحس كأنه يحلم ولا يريد الاستيقاظ من هذا الحلم، وحضن ابن عمه وقبله .. لا أعرف كيف أشكرك يا ابن عمي.

زهير: لا تشكرني فهذا حقك عليّ، فأنت ابن عمي أولاً، ولك أعظم الفضل عليّ لأنك ساعدتني في تعليمي الجامعي.

غادر فرحان عمان وهو يكاد يطير فرحاً، وبدأ يشرب العلاج بانتظام وينتظر بفارغ الصبر مرور الشهور الثلاثة، فبدأ يعدها بالساعة واليوم، إلى أن انتهت وبدأ كل يوم يتلمس بطن زوجته سعاد.

فرحان: هل حدث الحمل؟.

ومر الشهر الرابع وهو يتلمس بطنها كل يوم، وبعد انتهاء الشهر الرابع جاءت سعاد ذات صباح وقد اصفر وجهها، وبدأت تتقيأ ثم سقطت على الأرض.

فرحان: يركض .. والله لقد حصل الحمل .. أكيد .. أكيد حصل الحمل، ثم حمل سعاد إلى الطبيب.

ففحصها الطبيب وأجرى لها اختبار حمل.

الطبيب: مبروك يا فرحان .. زوجتك حامل.

فرحان: يركض إلى الطبيب وقبله وهو .. الله يبشرك بالخير يا دكتور.

ثم أخرج فرحان هاتفه النقال واتصل بابن عمه الدكتور زهير وقال وهو يلهث: أنها حامل، زوجتي حامل.

زهير: مبروك .. ألف مبروك، والله فرحت لك يا ابن عمي، سأشرف على حملها حتى تلد.

أشرف الدكتور زهير على حمل سعاد حتى أنجبت، فأنجبت طفلة جميلة سمياها فردوس، ففرحت فردوس ابنة عمه لأنهم أسموها على اسمها، فأحضرت هدية ثمينة وذهبت هي وزوجها وأمها إلى القرية يهنئون فرحان بالطفلة الجديدة، وأنجب فرحان بعدها مولوداً أسماه زهير، أما فردوس فقد أنجبت مولوداً ذكراً آخر أسمته فرحان، وتزوج المحامي طارق من أخت فرحان المعلمة سناء وكبر جورج وأصبح طبيباً في الصليب الأحمر، وأما عيسى فقد أصبح أستاذاً في الشريعة الإسلامية وأخذ يدعو إلى الإسلام ونشره بين المسيحيين وأصحاب الديانات الأخرى، فهو محاضر لبق ومقنع، وقد تزوج من فتاة مسلمة محجبة وتعمل مدرسة للتربية الإسلامية.

أما جورج فقد تزوج من صديقة له تعمل معه في نفس المجال وهي طبيبة مسلمة متدينة، وأنجب أحمد ومحمد وهبة، ودعي جورج وزوجته للعمل في لبنان عام ٢٠٠٦م حيث استشهد وهو يؤدي واجبه الإنساني، أما بالنسبة لمريم وسارة فقد تزوجتا في القرية من أخوة فرحان.

*****

***

*